جامعة الأزهر
كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة
قسم الثقافة الإسلامية

زواج النبي ﷺ بالسيدة عائشة بين صدق الحقيقة وافتراء المشككين

تأليف
د / محمد رمضان أبو بكر محمود
أستاذ مساعد بقسم الثقافة الإسلامية
بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

تلخيص البحث:
خرج الباحث بمجموعة من النتائج تتلخص فيما يلي:

أولاً : أن أعداء الإسلام من المستشرقين والمنصرين لايبكون على الطفولة وحقوقها كما يدعون ، ولا يهمهم إن كانت السيدة عائشة بالغة أم طفلة إنما هدفهم الرئيس النيل من رسول الله ﷺ ، وتشويه صورته أمام العالم . والدليل على هذا ما ثبت من خلال البحث أن زواج الفتاة في التاسعة من عمرها كانت -ولا زالت- ظاهرة عامة عند بعض الشعوب فلماذا يربطونها بنبي الإسلام خاصة؟!.

ثانياً : ثبت من خلال البحث أنه لا يمكن وضع حد معين لبلوغ المرأة – بل الرجل أيضاً- في عصر معين . فمن باب أولى إذا اختلفت العصور وبعد الزمان كما هو حالنا الآن بالنسبة لعصر النبي ﷺ وبيننا ما يقارب أربعة عشر قرناً من الزمان .

ثالثاً : أن معظم الشبهات التي يثيرها بعض المستغربين من المسلمين حول السنة النبوية المطهرة تنبع عندهم-غالباً-من منبعين أساسين : الأول :عدم الوقوف عند نصوص القرآن والسنة . والثاني : تقديم العقل على النص .

رابعاً : أن أعداء الإسلام لا يألون جهداً في التشكيك في قرآن ربنا ، وسنة نبينا ، ومن مشى ورائهم لن يزيدوه إلا خبالاً كما أخبر الحق بذلك في القرآن الكريم،وكما ظهر من تصديق بعض من الكاتبين المسلمين لهم في هذا الافتراء .

خامساً: لايوجد تعارض البتة بين الأحاديث الصحيحة بعضها مع بعض كما زعم هؤلاء الذين عارضوا رواية الصحيحين بروايات في الصحيحين ، وظهر عدم فهمهم لمغزى هذه الروايات وتلك.

سادساً : ثبت من البحث أن الجهل بترتيب المصادر الإسلامية يجعل من لا علم له يقدم ما حقه التأخير ، ويؤخر ما حقه التقديم ، وهذا يخل إخلالاً كبيراً بالبحث العلمي ، وخير مثال على ذلك هؤلاء الذين عارضوا رواية الصحيحين بكتب السيرة و التاريخ والتراجم أو غيرها من الكتب التي لاتداني الصحيحين في المنزلة والثبوت .

سابعاً : أكد البحث أن لكل علم رجاله ، ولكل فن أهله ، ومن لا يأخذ العلم من أهله يورد نفسه المزالق كما حدث مع هؤلاء الذين رموا سند الصحيحين بالضعف ، وهم ليسوا من أهل الحديث ولا حتى من طلابه .

الكلمات الدلالية: زواج- السيدة عائشة.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم هدى للمتقين ، وبعث رسوله محمداً ﷺ هادياً للعالمين ، والصلاة والسلام على من أوضح بسنته معالم الدين ، وبين بسيرته طريق الراشدين ، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين ، وعلى من اقتفى آثارهم وتبعهم بإحسان إلى يوم الدين . جعلنا الله منهم . آمين .   وبعد ،،،،

حاول كثير من أعداء الإسلام من المستشرقين والمنصرين وغيرهم أن ينالوا من الرسالة الإسلامية فعجزوا ؛ لأنها تنزيل من حكيم حميد ، وكلما تمر الأيام تثبت عظمة هذا التشريع الإلهي المحكم ، فاتجهوا نحوا المرسل بهذه الرسالة (رسول الله محمد ﷺ) علهم يجدوا في شخصه الكريم ما يتوصلون به للطعن في الإسلام عامة ، لأنه إذا ثبت العيب والنقص في المرسل بالرسالة تطرق الشك إلى الرسالة عامة ، وبدأوا يبحثون في حياة النبي الكريمة ليقعوا على نقيصة أو هفوة تروي غليلهم ، وترد عنهم ظمأ الخيبة والحسرة فلما لم يعثروا على شئ وارتدت أبصارهم عن سيرته وسريرته ﷺ خائبة وهي حسيرة اتجهوا إلى الافتراء والتزوير ، وتلبيس الحقائق الناصعة والمواقف الكريمة ثوب النقائص والمثالب معتمدين في ذلك على جهل كثير من غير المسلمين – بل وبعض المسلمين– بتفصيلات حياة النبي ﷺ وسيرته .

ومن هذه الافتراءات المزورة ما أثاروه حول زواج النبي – ﷺ –بالسيدة عائشة – رضي الله عنها – وهي في السادسة من عمرها ، ودخوله بها وهي في التاسعة من عمرها .

حيث ادعى هؤلاء المستشرقون والمنصرون – مستغلين في ذلك الموجة العارمة التي تعم العالم اليوم عن حقوق الإنسان عامة وحقوق المرأة والطفل خاصة – أن زواج النبي – ﷺ– بالسيدة عائشة هو اغتيال لطفولتها البريئة ، واعتداء صارخ عليها في هذه السن الصغيرة ، وأنه لايوجد دافع وراء مثل هذا الزواج من رجل في الرابعة والخمسين من طفلة في التاسعة سوى المتعة الجسدية، وصاروا يقيسون السيدة عائشة على بنات التاسعة اليوم في المجتمعات المعاصرة .

وانطلى هذا الباطل – للأسف الشديد – على نفر من المؤرخين والباحثين المسلمين ، وزاد من تصديقهم له عوامل أخرى منها : تقديمهم العقل على الشرع ، وافتتانهم بالمواثيق الدولية لحقوق المرأة والطفل ، ومحاولاتهم المستمرة التوفيق بينها وبين الإسلام حتى لايتهم الإسلام بالتخلف من وجهة نظرهم ، وفي نفس الوقت ما يقع أحيانا من تزويج بعض الآباء بناتهم الصغيرات من غير الأكفاء طلباً للمال أو المنصب والجاه .

فصار هؤلاء المؤرخون والكاتبون يبحثون عن أية شبهات يردون بها الروايات الصحيحة الواردة في عمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ﷺ ، ويشككون العامة والخاصة في صحتها . بل صار بعضهم يضرب بها المثل على التشكيك في صحيحي البخاري ومسلم خاصة . وبدأوا يشيعون أن السيدة عائشة عند زواجها بالنبي – ﷺ–كانت في الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة أو الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة من عمرها على أكثر تقدير وصلوا إليه ، وليست في التاسعة كما هو مروي في كتب السنة .

وقد دفعني حبي للنبي ﷺ وسنته بوجه عام ، أن أقوم بالرد على أعداء الإسلام الذين يطعنون في طهارة أخلاق النبي ﷺ وعفته بسبب هذا الزواج ، ثم أقوم بتتبع وجمع الشبهات التي يشاغب بها هؤلاء النفر من المؤرخين والباحثين

المسلمين على هذه الروايات الصحيحة ؛ لكي أضعها في محك البحث العلمي أمام هذه الروايات الصحيحة ، فكان هذا البحث الذي عنونت له بـ : " **زواج النبي ﷺ بالسيدة عائشة بين صدق الحقيقة وافتراء المشككين** "

هدف البحث وتساؤلاته

يهدف البحث الذي بين أيدينا إلى الإجابة على سؤال كبير مفاده : ما هو العمر الحقيقي للسيدة عائشة عند زواجها من النبي ﷺ ؟ ويتفرع عن هذا السؤال أسئلة فرعية كثيرة أهمها :

١ – هل كانت السيدة عائشة بالغة عند زواجها بالنبي ﷺ ، وما الأدلة على ذلك ؟

٢– هل أثرت هذه الشبهات التي وردت على الروايات الصحيحة في شأن عمر السيدة عائشة عند زواجها من النبي ﷺ في صدقها وصحتها ؟

٣– هل يوجد تعارض بين الشبهات التى أثاروها من الصحيحين مع هذه الروايات التي معنا ؟

٤– هل مصادر هذه الشبهات تتساوق مع قيمة الصحيحين ومكانتهما العلمية ؟

٥– هل يمكن استنباط بعض الحكم من زواج النبي ﷺ بالسيدة عائشة في هذه السن ؟

منهج البحث

اعتمدت في بحثي هذا على عدة مناهج بحثية علمية على النحو الآتي :

في المبحث الأول اعتمدت على المنهج الاستقرائي / ومن خلاله قمت باستقراء صحيحي البخاري ومسلم لجمع الروايات التي تذكر عمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ﷺ.

وفي المبحث الثاني والثالث اعتمدت على المنهج النقدي ، ومن خلاله قمت بنقد الشبهة التي يثيرها المستشرقون والمنصرون حول زواج النبي ﷺ بالسيدة عائشة في هذه السن ، ومن خلاله – أيضاً– قمت بنقد الشبهات التى أثارها بعض المؤرخين والباحثين حول الروايات الصحيحة لعمر السيدة عائشة عند الزواج المبارك.

أما المبحث الرابع فقد اعتمدت فيه على المنهج الاستنباطي ، ومن خلاله استنبطت بعض الحكم من زواج النبي ﷺ بالسيدة عائشة في هذه السن .

طريقة البحث

من خلال المنهج السابق سلك الباحث طريقة في بحثه تتلخص في النقاط الآتية :

١– عرض الروايات الواردة في الصحيحين لعمر السيدة عائشة حين زواجها بالنبي ﷺ اكتفاءً بها عما سواها .

٢– رجعت إلى كتب السيرة والتاريخ لجمع الحجج الدامغة التي ترد على أعداء الإسلام من خلال واقع المجتمع العربي والعالمي في هذه الحقب التاريخية .

٣– أتيت ببراهين من العهدين القديم والجديد والكتب المقدسة عند اليهود والنصارى لأن معظم الذين يثيرون هذه الشبهة حول النبي ﷺ منهم .

٤– دفعت قول المستشرقين بقول واحد منهم ؛ لكي تكون الحجة عليهم قوية ، ولعلهم يستحون إذا علموا ذلك.

٥– ذكرت من الأدلة الطبية والواقعية ما يثبت أن السيدة عائشة كانت بالغة في هذه السن .

٦- استنباط بعض الأسباب التي دفعت هؤلاء المؤرخين والباحثين المسلمين إلى معارضة الرواية الصحيحة في عمر السيدة عائشة عند الزواج ، مع التنويه بذكر أصحاب الشبهات ودوافعهم الظاهرة من خلال كتاباتهم.

٧- عرضت كل شبهة من شبهاتهم على حدة ، ثم وضحت الأصل الذي بنيت عليه ، وكررت عليها بالبطلان من خلال هدم هذا الأصل من المصادر الإسلامية الأصيلة .

٨- قمت – على قدر استطاعتي- باستنباط بعض الحكم من زواج النبي ﷺ بالسيدة عائشة في هذه السن .

الدراسات السابقة

لم أعثر على دراسة سابقة توافرت على الرد على هذه الشبهة المثارة حول زواج النبي ﷺ بالسيدة عائشة وهي بنت تسع سنين من خلال النواحي الأربعة التي جمعت من خلالها الحجج والبراهين وهي : (السيرة والتاريخ –كتب اليهود والنصارى – المستشرقون أنفسهم – الطب والواقع) .

كما لم أعثر على دراسة تجمع جميع الشبهات التي يثيرها هؤلاء النفر من المؤرخين والباحثين حول الرواية الصحيحة لعمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ﷺ ، وإنما قد يتعرض أحد الباحثين لهذه القضية في ثنايا بحثه كما فعل الباحث / محمود سليمان على في أطروحته للماجستير والتي بعنوان " أم المؤمنين عائشة ومروياتها في التفسير من الكتب الستة وتفسير الطبري "([١]) . حيث ذكر شبهات الأستاذ / العقاد الثلاثة حول عمر السيدة عائشة وقام بالرد عليها . وهناك بعض المقالات المتناثرة والمحاضرات الصوتية لبعض الباحثين والدعاة على شبكة المعلومات الدولية حول الرد على هذه الشبهة . لكن أياًّ منها لم يستوعب جميع الردود من كل النواحي ، ولا كل الشبهات ، فضلاً عن أن معظم الردود ليست علمية موثقة ، وبعضها يتسم بالضعف .

خطة البحث

جاء البحث في مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة على النحو التالي :

المقدمة : وتشتمل على هدف البحث ، ومنهجه ، وطريقته ، والدراسات السابقة ، وخطة البحث .

المبحث الأول : صدق الحقيقة في عمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ﷺ .

المبحث الثاني : افتراءات أعداء الإسلام حول هذا الزواج المبارك والرد عليها .

المبحث الثالث : شبهات المشككين في عمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ﷺ والرد عليها.

المبحث الرابع : بعض الحكم من زواج النبي ﷺ بالسيدة عائشة في هذه السن.

الخاتمة : وبها أهم نتائج البحث وتوصياته .

وفي الختام .. أسأل الله ﷻ أن أكون بهذا البحث المتواضع ممن يخدمون سنة الحبيب محمد ﷺ ، وأن يكون فاتحة خير ؛ لأن يستعملني في الدفاع عنها والذب عن مقام نبيه ﷺ . وأن ينفع به قارئه وكاتبه ، وكل من ينظر فيه ، ويرزقهم به شفاعة الحبيب ﷺ يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

الباحث / محمد رمضان أبو بكر محمود

---

[١] - رسالة ماجستير بقسم الكتاب والسنة –كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى سنة ١٤١٠هـ

المبحث الأول

صدق الحقيقة في عمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ﷺ([1])

وردت رواية عمر السيدة عائشة— رضي الله عنها –عند زواجها بالنبي – ﷺ – في جميع كتب السنة من الصحاح والسنن والمسانيد والمعاجم بحيث لو استقصينا كل هذه الروايات وذكرناها لطال بنا المقام . لذا أكتفي هنا بالروايات الواردة في أصح كتب السنة ، أعني صحيحي البخاري ومسلم ، وذلك على النحو الآتي :

أولاً : في صحيح البخاري :

روى الإمام البخاري عمر السيدة عائشة— رضي الله عنها – عند زواجها بالنبي – ﷺ –في خمسة مواضع من صحيحه وهي : ١–كتاب المناقب —باب تزويج النبي ﷺ عائشة وقدومها المدينة وبنائه بها

قال الإمام البخاري — رحمه الله – : حدثني فروة بن أبي المغراء حدثنا علي بن مسهر عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : تزوجني النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين ، فقدمنا المدينة ، فنزلنا في بني الحارث بن خزرج ، فوعكت([2]) ؛ فتمزق شعري ، فوفى([3]) جميمة([4]) ، فأتتني أمي أم رومان ، وإني لفي أرجوحة([5]) ، ومعي صواحب لي فصرخت بي ، فأتيتها لا أدري ما تريد بي ، فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار – وإني لأنهج([6]) حتى سكن بعض نفسي – ثم أخذت شيئا من ماء ، فمسحت به وجهي ورأسي ، ثم أدخلتني الدار ، فإذا نسوة من الأنصار في البيت ، فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر ، فأسلمتني إليهن فأصلحن من شأني ، فلم يرعني إلا رسول الله ﷺ ضحى ، فأسلمتني إليه ، وأنا يومئذ بنت تسع سنين ."([7])

---

[1] - عبرت عن رواية الصحيحين بصدق الحقيقة ، وما يضادها بالافتراء والتشكيك ؛ لأن هذا ما يعتقده كل مسلم فاهم لدينه في الصحيحين ، ومع هذا اليقين بصدق رواية الصحيحين فإني لن أغفل ذكر شبهة وقفت عليها اعترض بها أحد على هذه الزيجة المباركة ، وسأقوم — بمشيئة الله تعالى – بعرض شبهاتهم بصورة واضحة على حسب ما تقضيه الأمانة العلمية .

[2] – وعكت : أي ألمت بها الحمى{ النهاية في غريب الأثر لابن الأثير الجزري ج ٥ ص ٤٥٣ ط / المكتبة العلمية بيروت ١٩٧٩م }

[3] – وفى : وفى الشيء ووفى إذا تم وكمل (النهاية في غريب الأثر – (ج ٥ / ص ٤٦٩)

[4] – جميمة : تصغير جمة وهي : ما سقط على المنكبين من الشعر (النهاية ١ /٨١٤)

[5] – أرجوحة : حبل يشد طرفاه في موضع عال ثم يركبه الإنسان ويرك وهو فيه سمى به لتحركه ومجيئه وذهابه { النهاية في غريب الأثر – ٢ / ٤٨٧}

[6] – النهج بالتحريك : الربو وتواتر النفس من شدة الحركة أو فعل متعب . {النهاية في غريب الأثر – (٥ / ٢٨١)}

[7] – ج ٣ ص ١٠٦٣ ح/ ٣٨٩٤ ط/ دار ابن كثير —اليمامة — بيروت ط/ ثالثة ١٩٨٧م

٢ – وفي نفس الكتاب والباب بإسناد آخر قال – أيضاً – حدثني عبيد بن إسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه قال : توفيت خديجة قبل مخرج النبي ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين فلبث سنتين أو قريبا من ذلك ونكح عائشة وهي بنت ست سنين ثم بنى بها وهي بنت تسع سنين . "([١])

٣– كتاب النكاح – باب إنكاح الرجل ولده الصغار لقوله تعالى { وَاللَّائِي لم يَحِضْنَ} فجعل عدتها ثلاثة أشهر قبل البلوغ

قال – رحمه الله – حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها : أن النبي ﷺ تزوجها وهي بنت ست سنين وأدخلت عليه وهي بنت تسع ومكثت عنده تسعا . "([٢])

٤– وفي كتاب النكاح – أيضاً – باب تزويج الأب ابنته من الإمام وقال عمر خطب النبي ﷺ حفصة فأنكحته. قال : حدثنا معلى بن أسد حدثنا وهيب عن هشام بن عروة عن عائشة أن النبي ﷺ تزوجها وهي بنت ست سنين وبنى بها وهي بنت تسع سنين . وقال هشام وأنبئت أنها كانت عنده تسع سنين . "([٣])

٥ – وفي نفس الكتاب – باب من بنى بامرأة وهي بنت تسع سنين .

قال الإمام البخاري حدثنا قبيصة بن عقبة حدثنا سفيان عن هشام بن عروة عن عروة : تزوج النبي ﷺ عائشة وهي ابنة ست سنين وبنى بها وهي ابنة تسع ومكثت عنده تسعا . "([٤])

ثانياً : في صحيح الإمام مسلم :

روى الإمام مسلم في صحيحه عمر السيدة عائشة– رضي الله عنها – عند زواجها بالنبي – ﷺ – في كتاب النكاح – باب تزويج الأب البكر الصغيرة بعدة أسانيد على النحو التالي([٥])

١– قال حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة ح وحدثنا أبو بكر بن أبى شيبة قال وجدت في كتابي عن أبى أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت تزوجني رسول الله –ﷺ – لست سنين وبنى بي وأنا بنت تسع سنين . قالت : فقدمنا المدينة ، فوعكت شهرا ، فوفى شعري جميمة فأتتني أم رومان ، وأنا على أرجوحة ، ومعي صواحبي ، فصرخت بي ، فأتيتها ، وما أدرى ما تريد بي فأخذت بيدي ، فأوقفتني على الباب. فقلت هه هه. حتى ذهب نَفَسي ، فأدخلتني بيتا ، فإذا نسوة من الأنصار ، فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر . فأسلمتني إليهن فغسلن رأسي وأصلحنني ، فلم يرعني إلا ورسول الله –ﷺ – ضحى فأسلمنني إليه."

---

[١] – نفس الجزء والصفحة . ح / ٣٨٩٦ .

[٢] – ج ٤ ص ١٤٣٠ ح / ٥١٣٣ .

[٣] – نفس الجزء والصفحة ح /٥١٣٤ .

[٤] – ج٤ ص ١٤٣٥ ح / ٥١٥٨ .

[٥] – صحيح مسلم بترتيب / محمد فؤاد عبد الباقي ج ٢ ص ١٠٣٨ ح / ١٤٢٢ ط/ دار إحياء التراث العربي بيروت

٢– وقال حدثنا يحيى بن يحيى أخبرنا أبو معاوية عن هشام بن عروة ح وحدثنا ابن نمير – واللفظ له – حدثنا عبدة – هو ابن سليمان – عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت تزوجني النبي –ﷺ– وأنا بنت ست سنين ، وبنى بي وأنا بنت تسع سنين ."

٣– وقال حدثنا عبد بن حميد أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة : أن النبى –ﷺ– تزوجها وهى بنت سبع سنين ، وزفت إليه وهى بنت تسع سنين ، ولعبها معها ، ومات عنها وهى بنت ثمان عشرة "

٤ – وقال حدثنا يحيى بن يحيى وإسحاق بن إبراهيم وأبو بكر بن أبى شيبة وأبو كريب قال يحيى وإسحاق أخبرنا وقال الآخران حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت : تزوجها رسول الله –ﷺ– وهى بنت ست ، وبنى بها وهى بنت تسع ، ومات عنها وهى بنت ثمان عشرة. "

فهذه الروايات التسع في الصحيحين تجمع على أن النبي – ﷺ – تزوج السيدة عائشة – أي عقد عليها – ، وهي في السادسة من عمرها ، وبنى بها – أي دخل بها – وهي في التاسعة من عمرها ما عدا رواية الزهري عن عروة عن عائشة في صحيح مسلم بلفظ سبع ، وقد أجاب الإمام النووي عن هذا الاختلاف في هذه الرواية فأحسن وأجاد حين قال : " وأما قولها في رواية تزوجني وأنا بنت سبع ، وفي أكثر الروايات بنت ست ، فالجمع بينهما أنه كان لها ست وكسر ، ففي رواية اقتصرت على السنين ، وفي رواية عدت السنة التي دخلت فيها والله أعلم "([1])

وتبعه الإمام ابن القيم في هذا التوفيق بين الروايتين فقال : " وليس شيء من هذا بمختلف ، فإن عقده ﷺ عليها كان وقد استكملت ست سنين ودخلت في السابعة ، وبناؤه بها كان لتسع سنين من مولدها ، فعبر عن العقد بالتزويج وكان لست سنين ، وعبر عن البناء بها بالتزويج وكان لتسع . فالروايتان حق . "([2])

ولصدق هذا الأمر وحقيقته لم يختلف حوله الفقهاء والعلماء في جميع القرون السابقة ، والدليل على هذا ما قاله الإمام ابن كثير – رحمه الله – : " وقوله " تزوجها وهي ابنة ست سنين ، وبنى بها ، وهي ابنة تسع سنين " مما لاخلاف فيه بين الناس ، وقد ثبت في الصحاح وغيرها . "([3])

ومع تلقى الأمة جميعاً لرواية الصحيحين وغيرهما في عمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ﷺ بالرضا والقبول طوال القرون السابقة خرج علينا في زماننا هذا صنفان من الناس يطعنون في هذه الرواية :

الصنف الأول لا يعجب المرء أن يصدر منهم هذا الطعن لأنهم يكيدون للإسلام ونبيه ﷺ ليلا ونهاراً سراً وجهاراً، ويودون محوه من الوجود، وهؤلاء هم المستشرقون والمنصرون .

أما الصنف الثاني فهم ممن أعجب من شأنهم لأنهم من بني جلدتنا ، ويدينون بالإسلام . بل يظنون أنفسهم من حماته ومن الذائدين عن حياضه، وهؤلاء نفر قليل من المؤرخين والباحثين لم تستسغ عقولهم هذه الرواية لجريهم وراء الصنف الأول في قياس السيدة عائشة على بنات التاسعة في زماننا هذا؛ من حيث عدم البلوغ والنضج مع صغر

---

[1] – المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ج ٩ ص ٢٠٧ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الثانية ، ١٣٩٢هـ

[2] حاشية ابن القيم على سنن أبي داود ج ٦ ص ١١١ ط / دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الثانية ، ١٤١٥

[3] – السيرة النبوية ج ٢ ص ١٤١ ط/ الحلبي ط ١٩٦٤ م

الجسم؛ فأراحوا أنفسهم برد رواية الصحيحين ، والتشكيك في ثبوتها ، وكأن الأمة جميعاً بعلمائها وفقهائها نامت عن هذه الرواية طوال هذه القرون ليكتشفوا هم خطئها اليوم ! .

وللرد على هؤلاء وهؤلاء يأتي المبحثان الآتيان :

المبحث الثاني

افتراءات أعداء الإسلام حول هذا الزواج المبارك والرد عليها

ادعى بعض المستشرقين والمنصرين في العصر الحديث – مستغلين في ذلك الموجة العارمة التي تعم العالم اليوم عن حقوق الإنسان عامة وحقوق المرأة والطفل خاصة – أن زواج النبي – ﷺ– بالسيدة عائشة في سن التاسعة –كما في رواية الصحيحين – هو اغتيال لطفولتها البريئة ، واعتداء صارخ عليها في هذه السن الصغيرة ، و صورت لهم نفوسهم المريضة ، وأفكارهم الخبيثة ، ومجتمعهم المدنس بالشهوات المحرمة هذا الزواج الشريف بصورة ما يحدث – أحيانا – من زواج رجل كبير في السن من فتاة صغيرة لأجل المتعة والشهوة فقط ، وقالوا كيف يقبل العقل أن يتزوج رجل في الرابعة والخمسين من عمره بطفلة في التاسعة من عمرها إلاّ إذا كان الغرض من وراء ذلك الشهوة الحسية والمتعة الجنسية ؟! ، ولم يسلم سيدنا أبو بكر الصديق – ﷺ– من افتراءاتهم فادعوا أنه سعى إلى تزويج ابنته الصغيرة من صاحبه إرضاء له ، وطلباً للحظوة عنده .([1])

ولكي ينطلي هذا الباطل على من لايعرف ما تنطوي عليه نفوسهم من مكر وخبث أخذوا يقيسون عمر السيدة عائشة على بنات اليوم ، ويصورن بنات التاسعة اليوم ويعرضونهم على أنهم السيدة عائشة – رضي الله عنها – ويرتدون ثوب الدفاع عنها بزعمهم أنها مجني عليها لم تتمتع بطفولتها ، ولم تستطع أن تعبر عن رأيها في هذا الزواج .

وراحوا يشيعون هذا الافتراء في صحفهم ومجلاتهم وبرامجهم التلفازية في قنواتهم التنصيرية ، ومواقعهم على شبكة المعلومات الدولية ، وذلك من خلال المقالات والنكات والرسوم (الكاريكاتورية) بل وبعض الألعاب الإلكترونية([2]).
ويهدف هؤلاء الأعداء من وراء هذه الشبهة وأمثالها إلى أمرين :

الأول : صد غير المسلمين عن التطلع إلى معرفة الإسلام ، والبحث عن حقائقه وأنواره ، والقراءة حول رسوله الكريم وما اشتملت عليه نفسه الطاهرة من كريم الصفات ومعالي الأخلاق ، وما استطاع أن يصل إليه من حل للمشكلات الإنسانية التي تواجه البشرية في كل عصر ، وما نشره في العالم من سلام واطمئنان وعدل .

الثاني : تشكيك ضعاف النفوس ، وأصحاب العقول المستغربة من المسلمين في دينهم ورسولهم ، أو في مصدر هذا الدين ومنبعه (القرآن الكريم والسنة المطهرة) ، والسنة خاصة لأنها هي المبينة والمفسرة لنصوص القرآن وأحكامه ، وبدونها لا يمكن فهم الإسلام ولا تطبيقه في أي زمان أو مكان .

ولولا أن هذه الشبهة شاعت ، وصارت معروفة عند القاصي والداني . بل أحدثت ردة فعل عند بعض المؤرخين والكتاب المسلمين –كما سنرى في المبحث الثالث من هذا البحث – لما كنت سألقي لهذا الباطل المتهرئ ،

---

[1] – راجع دائرة المعارف الإسلامية – إعداد مجموعة من المستشرقين منهم (جيب –كرامرز– ل. شاخت ..وغيرهم) ط/ ليدن بريل ١٩٨٦. والسيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون ترجمة كتاب " حياة محمد " للمستشرق الفرنسي / م . سفاري ص ١١٤ ترجمة /محمد عبد العظيم – تحقيق ونقد / عبد المتعال الجبري ط/ دار الدعوة ط/ أولى ١٩٩٤م

[2] – وقفت على كثير من مواقع التنصير التى تقوم بذلك ، لكنني نزهت البحث عن ذكرها من ناحية ، وحتى لا يتضمن البحث دعاية لمثل هذه المواقع السيئة .

والكذب المفضوح بالاً . ولكن لما كشف الباطل وجهه ، ورفع صوته كان حرياً بالحق أن يخمده ويزهقه كما هي سنة الله في خلقه. قال – ﷻ –{ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ }[الأنبياء : ١٨]

ومن ثم سأقسم الحجج والبراهين التي تزهق هذا الباطل ، وتشفي أصحابه من هذا الهوس إلى أربعة أقسام لكثرة الحجج والبراهين من ناحية ، ولكي يزداد الحق جلاء ووضوحا من ناحية أخرى ، هذه الأقسام الأربعة هي :

أولاً : حجج دامغة من السيرة والتاريخ .

ثانياً : حجج وبراهين من العهدين القديم والجديد والكتب الدينية عندهم.

ثالثاً : وشهد شاهد من أهلها .

رابعاً : أدلة طبية وواقعية في العصر الحالي .

وأبدأ في بيان هذه الحجج على النحو التالي :

أولاً : حجج دامغة من السيرة والتاريخ .

١– نساء من العرب بعد عهد النبي ﷺ يبلغن ويتزوجن في التاسعة من أعمارهن

إن قياس الناس في زمان على الناس في زمان آخر من حيث قوة البدن ووفور الصحة قياس خاطئ ، ويكفي في التدليل على هذا النظر إلى حال الناس في زماننا بالمقارنة بالأجيال السابقة ، والأمراض التي ظهرت وكثرت في عصرنا ، ولم تكن فيهم . وهذه القوة البدنية والسلامة الصحية مع البيئة الطبيعية لها تأثير في سرعة بلوغ الابن والبنت بلا شك —كما سيأتي ذكره في الناحية الطبية — أما هنا فأذكر بعض النماذج من نساء العرب ممن كن يبلغن ويتزوجن في نفس عمر السيدة عائشة ، وذلك بعد عهدها بسنوات طويلة ، وذلك على النحو التالي :

أخرج الإمام البيهقي في سننه الكبرى — بسنده – عن الربيع عن الشافعى قال : أعجل من سمعت به من النساء يحضن نساء بتهامة يحضن لتسع سنين.

وعنه — أيضاً – عن الشافعي قال : رأيت بصنعاء جدة بنت إحدى وعشرين سنة ، حاضت ابنة تسع ،وولدت ابنة عشر ، وحاضت البنت ابنة تسع وولدت ابنة عشر.

ويذكر عن الحسن بن صالح أنه قال : أدركت جارة لنا صارت جدة بنت إحدى وعشرين سنة.[1]

وفي سنن البيهقي — أيضاً — عن عباد بن عباد المهلبى قال : أدركت فينا يعنى (المهالبة) امرأة صارت جدة وهى ابنة ثمان عشرة ، ولدت لتسع سنين ابنة ، فولدت ابنتها لتسع سنين فصارت جدة وهى ابنة ثمان عشرة.

وروى البيهقي بسنده —كذلك– قال : حدثنى الليث حدثنى كاتبى عبد الله بن صالح : أن امرأة فى جوارهم حملت ، وهى بنت تسع سنين. [2]

[1] – السنن الكبرى للبيهقي ٣١٩/١ ط/ مجلس دائرة المعارف النظامية الهند– حيدر آباد : الطبعة : الأولى . ١٣٤٤ هـ

[2] – السابق ٤٢٠/٧

وفي كتاب (المبسوط) للإمام السرخسي : أنه كان لأبي مطيع البلخي ابنة صارت جدة ، وهي بنت تسعة عشرة سنة حتى قال: فضحتنا هذه الجارية.([1])

فهذه نساء قبائل معينة من العرب في الحجاز ومصر واليمن والعراق([2]) بعد عصر النبي ﷺ بحوالي قرنين من الزمان – أي في القرن التاسع الميلادي تقريباً – يبلغن ويتزوجن في التاسعة من أعمارهن فماذا عسى هؤلاء المفترون أن يقولوا حول هذه النماذج من النساء ، وهل يمكن اعتبارهم في ذلك الزمن أطفالاً ، وقد حملن وصرن أمهات في سن التاسعة أو العاشرة .

٢ – المجتمع العربي يمارس هذا الزواج

من عدم الإنصاف في النظر والتعليل والحكم أن نفصل الحدث عن واقعه وزمانه ، فإذا توافقت عادات المجتمع العربي وأعرافه في القرن السادس والسابع الميلادي وما بعدهما إلى وقت قريب – بل والمجتمع العالمي كله في ذلك الزمان – على زواج البنت وهي صغيرة ممن يكبرها بسنوات طويلة . هل يمكن لنا في عالمنا المعاصر أن نخطِّئ ونجرِّم هذه العادة ؟ إن هذا لا يمكن أن يقول به عقل منصف . والأمثلة على ذلك من المجتمع العربي كثيرة منها :

أ) عبد المطلب وزواجه من هالة بنت وهيب ابنة عم السيدة آمنة

عن العباس بن عبد المطلب ﷺ قال – في قصة زواج أب النبي – ﷺ – بالسيدة آمنة –: (فرجعَ عبد المطلب فتزوجَ هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة ، فولدت له حمزة وصفية، وزوَّج عبد الله ابنه آمنة بنت وهب ، فقالت قريش : نتج عبد المطلب على ابنه ، فولدت له رسول الله ﷺ ، وكان حمزة ﷺ أخا رسول الله ﷺ من الرضاعة ، أرضعتهما ثويبة مولاة أبي لهب .)([3])

وفي هذا الخبر الذي روته كثير من كتب السيرة والتاريخ نري عبد المطلب وهو شيخ كبير قد جاوز السبعين من عمره ([4]) يتزوج هو وأصغر أولاده في مجلس واحد من فتاتين صغيرتين من بني زهرة ، ثم تلد الزوجتان معاً ،ويصير حمزة (عم النبي – ﷺ –) أخاً له من الرضاعة ، ولم ينكر عليه أحد ذلك الزواج .

ب) عمر بن الخطاب وزواجه من أم كلثوم بنت علي – رضي الله عنهما :

---

[1] – المبسوط للسرخسي ٢٧٢/٣ ط /دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م

[2] – يحدث الشافعي عن نساء تهامة في الحجاز وعن صنعاء باليمن ، والليث يخبره كاتبه بمصر عن هذه المرأة ، وينقل السرخسي عن البلخي بالعراق قصة فتاتهم فهذه أقطار مختلفة في أنحاء شتى تحيض فيها بعض النساء ويتزوجن في التاسعة من عمرها .

[3] – رواه الطبراني وفيه عبد العزيز بن عمران وهو متروك (مجمع الزوائد ٨ / ٤٢٢ ط / دار الفكر، بيروت – ١٤١٢ هـ). وأخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ١ /٧٥ ط / دار صادر بيروت – بدون تاريخ – ، وابن عساكر في تاريخ دمشق وقال : هذا حديث غريب والمحفوظ حديث المسور بن مخرمة وذكره بنفس المعنى ٤١٨/٣ – ٤٢٢ ط /دار الفكر بيروت ١٩٩١م

[4] – مات عبد المطلب بعد هذا الزواج بثماني سنين وقد جاوز الثمانيين من عمره { انظر / المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي ج٧ ص ٨١ ط : دار الساقي الطبعة : الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م

يروي الإمام البيهقي في سننه الكبرى بسنده عن الحسن بن الحسن عن أبيه : أن عمر بن الخطاب ﷺ خطب إلى علي ﷺ أم كلثوم فقال له علي ﷺ : إنها تصغر عن ذلك. فقال عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي ؛ فأحببت أن يكون لي من رسول الله ﷺ سبب ونسب .فقال علي ﷺ لحسن وحسين زوجا عمكما. فقالا : هي امرأة من النساء تختار لنفسها . فقام علي ﷺ مغضبا ، فأمسك الحسن ﷺ بثوبه ، وقال : لا صبر على هجرانك يا أبتاه . قال : فزوجاه "([١])

وهنا – أيضاً – نرى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – ﷺ – يتزوج من السيدة أم كلثوم بنت الإمام علي – رضي الله عنهما – قبل وفاته بست سنوات تقريباً ([٢]) أي وهو قد قارب الرابعة والخمسين من عمره تقريباً ([٣])، وهي فتاة صغيرة حديثة السن ، ولم ينكر عليه أحد من الصحابة هذا الزواج .

ج) وقال الشافعي- رحمه الله- : "زوج الزبير ﷺ ابنته صبية ، وزوج غير واحد من أصحاب النبي -ﷺ ابنته صغيرة."([٤])

فهذه الآثار تفيد أن زواج البنت وهي صغيرة بمن يكبرها بأعوام كثيرة كان أمراً عادياً في المجتمع العربي آنذاك . بل كان لا يثير أدني ريبة أو تهمة بين الناس .

٣- زواج الفتيات في سن صغيرة كان معروفاً – أيضاً – في أوربا في القرون الوسطى .

" والدليل على ذلك زواج الملوك والحكام في القرن الثاني عشر في سن صغيرة من أجل إنشاء تحالفات تضمن استمرار السلام ، فعلى سبيل المثال كانت الإمبراطورة الطفلة (أنياس) في الثامنة من عمرها حين تزوجت بالإمبراطور (ألكسيوس كمنتوس الثاني) في حين كان عمر (ألكسيوس) ثلاثة عشر عاماً . بالإضافة إلى هذا فإن زوجة (ألكسيوس الأول) كانت ابنة اثنتي عشر ربيعا عند زواجها ، وأصبحت إمبراطورة قبل أن تبلغ الخامسة عشرة .... وقبل أن يكمل زوج (أنياس) الامبراطور(ألكسيوس) عامه الثالث كإمبراطور نصب ابن عم أبيه (أندرونيكوس) نفسه إمبراطورا مشاركا ، وانتزع منصبه بالقوة ثم تزوج (أنياس) رغم أنه كان في الخامسة والستين من العمر ، أي بينهما ما يزيد على الخمسين عاماً "([٥])

وحيث إن هذا الزواج كان معروفاً بين طبقة الحكام ، فلا بد أن يكون مشهوراً ومعروفاً بين عامة الشعب الأوروبي في ذلك الزمان – أيضاً – ؛ " فقد أحب (دانتي) (بياتريس) وشبب بها وكانت في السادسة ، وكانت (جوليت)

---

[١] – سنن البيهقي ج ٧ ص ٦٤ قال الهيثمي ورواه الطبراني في الأوسط والكبير ورجاله رجال الصحيح {مجمع الزوائد ٤ / ٤٩٩ }

[٢] – تزوجها – ﷺ- في ذي القعدة من العام السابع عشر للهجرة ، وتوفي في ذي الحجة من العام الثالث والعشرين للهجرة { انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٢ص٣٨٢ ط/دار الكتب العلمية – بيروت – ط/ أولى ١٩٨٧م .

[٣]- اختلف في مقدار سنه يوم مات رضي الله عنه على أقوال عدتها عشرة -.وروى ابن جرير عن أسلم مولى عمر أنه قال: توفي وهو ابن ستين سنة.قال الواقدي: وهذا أثبت الأقاويل عندنا.{ راجع البداية والنهاية ج٧ ص ١٥٦ ط/ دار هجر للنشر والتوزيع د.ت}

[٤] – السنن الكبرى للبيهقي (٧ / ١١٤) مرجع سابق

[٥] – انظر : زواج الرسول ﷺ من السيدة عائشة حقائق قد لاتعرفها – فوزي الغديري ص ٥ كتيب الكتروني منشور على موقع www.rasoulallah.net.

في رواية (شكسبير) تعيرها أمها أنها صارت في الثالثة عشرة من عمرها ولم تتزوج ، بينما رفيقاتها تزوجن في التاسعة وقبل ذلك ، وصار لهن أولاد يذهبن للمدارس "([1])

هذه أوربا في القرون الوسطى بعد حياة النبي ﷺ بخمسة قرون ، كان النساء فيها يتزوجن في سن صغيرة جداً ، وكان هناك فروق بين الزوج وزوجته تصل إلى ما يزيد عن خمسين سنة في بعض الحالات .فلماذا ينكرون على النبي ﷺ زواجه بالسيدة عائشة وهي في التاسعة من عمرها في القرن السابع الميلادي ، والفارق بينها وبين النبي ﷺ يصل إلى أربع وأربعين سنة فقط! .

وهذا يؤكد أن هذا الزواج لم يكن خاصاً – من الناحية التاريخية – بالمجتمع العربي فقط . بل كان أمراً عالمياً في هذه العصور .

٤ – لم يعب المشركون واليهود وأعداء النبي – ﷺ – هذا الزواج .

لاأدري كيف جاز لأمثال هؤلاء المفترين أن يعيبوا شيئاً لم يعبه أهل زمانه والمعاصرون له ، وهل من الممكن أن يتواطأ العرب كلهم على السكوت على أمر مشين أو منكر كما يزعمون ؟! ، ثم الأدهى من ذلك ، هل كان أعداء النبي – ﷺ– من المشركين واليهود وغيرهم سيسكتون عن هذا الزواج لو كان يمثل عندهم أدنى نقيصة أو عيب يمكن أن يعاب به رسول الله – ﷺ – ليصدوا الناس عن الإيمان به وبرسالته . وهل يمكن أن يفسر سكوتهم عن ذلك على أي وجه غير أنهم لم يجدوا في هذا الزواج أي تهمة أو ريبة ؟! ، وهم الذين كانوا يصطنعون التهم والأراجيف الكاذبة على رسول الله ﷺ ليصدوا الناس عنه مثل قولهم : ساحر ومجنون وغير ذلك .

إن أي عاقل لايمكن أن يجد تفسيراً لهذا السكوت غير ما ذكرت من الرضا والتسليم بمشروعية هذا الزواج ، وأنه يسير على سنة المجتمع وتقاليده وأعرافه في ذلك الزمان .

٥– السيدة عائشة كانت مخطوبة قبل زواجها من النبي – ﷺ –.

لم يدرك أعداء الإسلام وهم يحاولون تشويه صورة النبي – ﷺ – بزواجه من السيدة عائشة ذات التسع سنوات أنه لم يكن أول الخاطبين لها . بل إنه كان هناك وعد من أبيها للمطعم بن عدي أن يزوجها لابنه جبير بن المطعم ، وكان هذا الوعد بمثابة خطبة لها من جبير بن المطعم ، وأن أبا بكر – رضي الله عنه – ما قبل بزواجها من رسول الله – ﷺ – حتى أظهر المطعم وزوجته تحللاً من هذه الخطبة .

روى الإمام أحمد في مسنده بسنده عن أبي سلمة ويحيى قالا : " لما هلكت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون قالت يا رسول الله : ألا تزوج ؟ قال : من ؟ قالت : إن شئت بكرا وإن شئت ثيبا . قال : فمن البكر ؟ قالت : ابنة أحب خلق الله عز وجل إليك عائشة بنت أبي بكر . قال : ومن الثيب ؟ قالت : سودة ابنة زمعة قد آمنت بك واتبعتك على ما تقول . قال : فاذهبي فاذكريهما علي.

---

[1] ١– موسوعة أم المؤمنين عائشة للحفني ص ٩٧ ط/ مكتبة مدبولي بالقاهرة ط / أولى ٢٠٠٣م .

فدخلت بيت أبي بكر فقالت : يا أم رومان ماذا أدخل الله عز وجل عليكم من الخير والبركة ؟ قالت : وما ذاك ؟ قالت : أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة . قالت : انتظري أبا بكر حتى يأتي . فجاء أبو بكر فقالت : يا أبا بكر ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ؟ قال : وما ذاك ؟ قالت : أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة قال : وهل تصلح له إنما هي ابنة أخيه ؟

فرجعت إلى رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك . قال : ارجعي إليه ، فقولي له : أنا أخوك وأنت أخي في الإسلام وابنتك تصلح لي ، فرجعت ، فذكرت ذلك له . قال : انتظري وخرج . قالت أم رومان : إن مطعم بن عدي قد كان ذكرها على ابنه ، فوالله ما وعد موعدا قط فأخلفه لأبي بكر .

فدخل أبو بكر على مطعم بن عدي ، وعنده امرأته أم الفتى . فقالت : يا ابن أبي قحافة لعلك مُصْبٍ صاحبنا – مدخله في دينك الذي أنت عليه – إن تزوج إليك . قال أبو بكر للمطعم بن عدي : أقول هذه تقول ؟ قال : إنها تقول ذلك . فخرج من عنده ، وقد أذهب الله ﷻ ما كان في نفسه من عدته التي وعده ، فرجع فقال لخولة : ادعي لي رسول الله ﷺ ، فدعته ، فزوجها إياه ، وعائشة يومئذ بنت ست سنين ..... الحديث "([1])

وهذه الخطبة السابقة تعني في هذا الصدد — أيضاً – أن المجتمع العربي آنذاك لم يكن يشعر بغضاضة من خطبة الفتيات الصغيرات ومن زواجهن .

٦ – لم يكن الزواج باختيار النبي ﷺ بل كان وحياً من الله ﷻ ثم اقتراحاً من خولة بنت حكيم رضي الله عنها

تروي الأحاديث الصحيحة أن بداية أمر زواج النبي ﷺ بالسيدة عائشة كانت رؤيا من الله — ﷻ – رآها النبي ﷺ في المنام ، وهذه رواية الإمام البخاري ومسلم في هذا الشأن :

عن عَائِشَةَ أنها قالت : قال رسول اللَّهِ ﷺ : " أُرِيتُكِ في الْمَنَامِ ثَلَاثَ لَيَالٍ جَاءَنِي بِكِ الْمَلَكُ في سَرَقَةٍ من حَرِيرٍ فيقول هذه امْرَأَتُكَ فَأَكْشِفُ عن وَجْهِكِ فإذا أَنْتِ هِيَ فَأَقُولُ إن يَكُ هذا من عِنْدِ اللَّهِ يُمْضِهِ . "([2])

ورؤيا الأنبياء حق ، ووحي من الله – تعالى — لهم ، وما كان النبي — ﷺ — ليخالف وحي الله له ، ولكن قد يسأل البعض ، ولماذا شك النبي ﷺ في هذه الرؤيا ، وقال " إن يكن من عند الله يمضه " ، ولم يسارع إلى تنفيذها ، ويجيب على ذلك القاضي عياض بعدة احتمالات أرجحها كما قال ابن حجر في الفتح : (هل هي رؤيا وحي على ظاهرها وحقيقتها ، أو هي رؤيا وحي لها تعبير ، وكلا الأمرين جائز في حق الأنبياء.)([3])

---

[1] – مسند أجمد ج ٤٢ ص ٥٠١– ٥٠٦ ط/ مؤسسة الرسالة بتحقيق شعيب الأرنؤوط : وقال : إسناده حسن ط / مؤسسة الرسالة الطبعة : الثانية ١٩٩٩م

[2] – متفق عليه — وهذا لفظ مسلم — صحيح البخاري ك / المناقب ب / تزويج النبي ﷺ عائشة وقدومها المدينة وبنائه بها ج ٣ ص ١٤١٥ صحيح مسلم ك/ الفضائل — ب/ فضل عائشة ج٤ ص ١٩٨٨ .

[3] – فتح الباري ج٩ ص ١٨٢ ط/ دار المعرفة – بيروت ١٣٧٩ هـ.

وهذه الرؤيا تدل في المقام الذي معنا على أن الزواج لم يكن باختيار النبي ﷺ ، وهذا يبعد تماما ما حاول أن يصوره هؤلاء الأعداء من كون النبي ﷺ - حاشاه - كان يعيش حالة من الكبت الجنسي ، ثم أراد أن يفرغ هذه الشهوة من خلال الزواج بفتاة صغيرة . فلم يكن يدور في خلد النبي – عليه الصلاة والسلام- الزواج من السيدة عائشة لولا أن الملك جاء من عند الله يبشره بزواجه منها . ومع ذلك –كما هو ظاهر من الحديث – لم يسع النبي ﷺ إلى هذا الزواج لربما تكون رؤيا لها تأويل على وجه آخر ، وهذا التمهل يدحض - أيضا- ما يريد به خيال الأعداء أن يصوره لهم من لهفة النبي ﷺ على هذا الزواج – حاشاه من كل ذلك – .

ثم نرى هذا الافتراء يتهاوى أكثر وأكثر بمفاتحة السيدة خولة بنت حكيم - رضي الله عنها – للنبي ﷺ في شأن زواجه من السيدة عائشة – رضي الله عنها –كما تذكر رواية الإمام أحمد السابقة ذلك. وكأن الله – ﷻ – أراد أن يصرف عن رسوله – ﷺ – أدنى ما يمكن للنفوس المريضة أن تشينه به ؛ فسخر له السيدة خولة لتقوم بهذه المهمة ، وتعرض على النبي – ﷺ - الزواج من السيدة عائشة ، وفي هذا العرض دلالتان :

الأولى : التأكيد على عدم سعي النبي – ﷺ – ولهفته على هذا الزواج ، وهذا يدحض تصور الأعداء المريض لهذه الزيجة المباركة .

الثانية : معرفة السيدة خولة بأن السيدة عائشة قد زايلتها سمات الطفولة ، وأصبحت على مشارف البلوغ ، وهذا من خلال خبرتها بأمور النساء ، وإلا ما عرضتها على رسول الله – ﷺ - ، وهذا يدل على كون السيدة عائشة كانت بالغة ومطيقة للزواج حين بنى بها النبي – ﷺ – في المدينة بعد ثلاث سنوات من هذا العرض ، وهذا يدفع ما يريد أن يصوره الأعداء من أن سن التاسعة للسيدة عائشة هو سن الطفولة كحال الفتيات في هذه الأيام .

٧- لم يكن الزواج بغرض الشهوة بدليلين زواجه ﷺ من السيدة خديجة – رضي الله عنها- في فترة الشباب ، ثم دخوله بالسيدة سودة قبل السيدة عائشة – رضي الله عنهما –

لا يستطيع أي عقل منصف متجرد عن الهوى أن يلمس دافع الشهوة فقط وراء أي زواج من زواجه ﷺ بإحدى نسائه ، وإن كانت قوة الشهوة ليست مما يعاب به الرجل بل مما يمدح به على مر العصور والأزمان – . والدليل على ذلك أن فترة اشتداد الشهوة وثورانها في حياة الإنسان الطبيعي مرت على النبي – ﷺ – وهو شاب مستقيم الأخلاق طاهر الطباع لم تعرف عنه نقيصة ، ولم تلحظ عليه مثلبة ، بل كان يلقب في مكة كلها بالأمين ، ولم يعرف عنه ﷺ- لا قبل الزواج ولا بعده- في شبابه أنه تطلَّع إلى امرأة ، أو دنس عرضه بالسعي وراء الجواري والغانيات - وما أكثرهن بمكة في ذلك الوقت ، ولو عرف عنه ذلك لكان مشركو مكة أول من يرمونه به بعد البعثة ، ويتخذونه سلاحاً لصد الناس عنه .

ولما أراد – ﷺ – أن يتزوج لم يبحث عن امرأة بكر صغيرة السن ، ولو فعل ذلك – عليه الصلاة والسلام – ما كان عليه من لوم ولا حرج ، ولم يكن أحد في الماضي أو الحاضر يمكن أن يعيبه بذلك ، لكنه – ﷺ–كان يبحث عن رجاحة العقل ودماثة الخلق أولاً ، فوجدهما على أكمل وأوفر ما يكون في السيدة خديجة – رضي الله عنها- ؛ فتزوجها على الرغم من كونها أرملة تزوجت قبله برجلين ، وكانت تكبره في العمر .

وهنا يقول بعض هؤلاء المفترين : إنما تزوجها لأجل مالها .

وأقول : هذا لم يحدث لكونه – ﷺ –كان تاجراً معروفاً بين أهل مكة بصدقه وأمانته ، وكان كل ثري من أثرياء مكة يحب أن يتاجر له – ﷺ – في ماله لأمانته ونزاهته .

ولو كان هذا الفرض صحيحاً – مجاراة للخصم – أما كان في وسع النبي – ﷺ – أن يتزوج على السيدة خديجة ، وهو يعيش في مجتمع قل أن يوجد فيه رجل إلا وله زوجتان أو ثلاث ، غير الإماء وأمهات الأولاد . بل ليس هناك حد لتعدد الزوجات فيه . لكن النبي – ﷺ – ما فعل ذلك طيلة خمسة وعشرين عاما قضاها مع السيدة خديجة حتى بلغ الخمسين من عمره ، وتوفيت – رضي الله عنها – وقد قضى معها فترة شبابه ، ووقت اشتداد شهوته لم يتزوج عليها ، ولم يتسر عنها بأمة .

ومع نصوع الحق في طهارة وعفة هذه الحياة التي قضاها النبي – ﷺ– في الخمسين سنة الأولى من حياته يأبى هؤلاء المفترون إلا أن يصوروا هذه الطهارة والعفة بما تسوله لهم نفوسهم المريضة ومجتمعهم المدنس بالشهوات ، فيصفون هذه الفترة من حياة النبي – ﷺ – بفترة الكبت الجنسي ، وهذا هو الكذب الممجوج ، والافتراء المفضوح .

ومجاراة لهم نقول : لو صدق تفسيركم هذا أما كان للنبي – ﷺ – وقد تحرر من أسر السيدة خديجة بوفاتها – كما تزعمون – أن يسارع إلى الزواج من الأبكار من النساء ليعوض ما فاته من حياته مع السيدة خديجة . فهل حدث هذا ؟

كلا . فقد مكث – ﷺ – عامين أو ثلاثة دون أن يتزوج حتى أشفقت عليه السيدة خولة من شدة حزنه على السيدة خديجة ؛ فعرضت عليه الزواج ، ورشحت له ثيباً وبكراً ، ومع ذلك لم يبدأ – ﷺ – بالزواج من البكر ، وهي السيدة عائشة بل بدأ بالزواج من الثيب وهي السيدة سودة بنت زمعة ، وقد كانت امرأة مسنة تكبر النبي – ﷺ – بسنوات طويلة ، وكان زوجها مسلما ، وتوفي عنها ، وكان أهلها ما زالوا على الشرك فضمها النبي – ﷺ– له حماية لها من بطش أهلها ، فأين هذا الكبت الذي انفجر في حياة النبي – ﷺ- فجأة بعد وفاة السيدة خديجة ؟؟؟!!!

إن زواج النبي – ﷺ –بالسيدة سودة بعد السيدة خديجة – رضي الله عنهما – ليدحض تماماً أكذوبة الكبت الجنسي المتفجر في حياته – عليه الصلاة والسلام- بعد الخمسين . بل إن الحب والوفاء الذي كان يحمله قلب النبي – ﷺ – للسيدة خديجة ليبين خسة هذه الأكذوبة ووقاحتها ، فهل هناك رجل عنده هذا الكبت يظل وفياً ومحباً لمن كانت سبباً فيه حتى بعد وفاتها بصورة تحدثنا عنها أم المؤمنين عائشة قائلة في الحديث : (ما غِرْتُ على امْرَأَةٍ ما غِرْتُ على خَدِيجَةَ من كَثْرَةِ ذِكْرِ رسول اللَّهِ ﷺ إِيَّاهَا قالت وَتَزَوَّجَنِي بَعْدَهَا بِثَلَاثِ سِنِينَ وَأَمَرَهُ رَبُّهُ عز وجل أو جِبْرِيلُ عليه السَّلَام أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ في الْجَنَّةِ من قَصَبٍ . "([1])

فهل هذه المشاعر الجياشة ، والحب المتأصل في قلب النبي – ﷺ – نحو السيدة خديجة مشاعر رجل أصيب بالكبت من عشرته معها ؟!!!!

---

[1] – متفق عليه . صحيح البخاري ك/ فضائل الصحابة ب/ مناقب خديجة ٥/ ٣٨ صحيح مسلم – واللفظ له – ك/ الفضائل ب/ فضائل خديجة أم المؤمنين ٤/ ٩٨٨ ح / ٢٤٣٥ .

٨- لماذا تأخر الدخول بالسيدة عائشة ثلاث سنوات بعد العقد عليها ؟

هذا السؤال لو تأمل فيه هؤلاء المفترون لوجدوا فيه ما يريحهم من عناء إلصاق التهم بأطهر إنسان عرفته البشرية على وجه الأرض نبينا محمد ﷺ ، ذلك أن النبي ﷺ عقد على السيدة عائشة بمكة قبل الهجرة بعامين ثم دخل بها في شوال من العام الأول من هجرته – على أرجح الأقوال –([١]) فلماذا كانت هذه الفترة بين العقد والبناء . في حين أنه عقد على السيدة سودة بمكة ، ودخل بها بمكة ؟

الإجابة على ذلك كما استنبط كثير من العلماء : أنها كانت غير مكتملة البلوغ ، فلما وصلت التاسعة أصبحت مهيأة لأن تكون زوجة ، لذا قال الداودي – رحمه الله- " وكانت عائشة قد شبت شبابا حسنا رضى الله عنها "([٢])

وكانت السيدة عائشة – رضي الله عنها – من خلال تجربتها الشخصية في مسألة البلوغ ، ومتى تطيق الفتاة – في زمانها- النكاح ترى أن البنت إذا بلغت تسع سنين فهي امرأة

أخرج الترمذي عن أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– أنها قالت (إذا بلغت الجارية تسع سنين فهي امرأة)([٣])

إذاً السيدة عائشة – رضي الله عنها – لم تكن طفلة عند دخول النبي – ﷺ – بها كما تحدث هي عن نفسها ، وكما تحكم على بنات جنسها في زمانها ، فهل يمكن أن يعلم هؤلاء المفترون عنها مالا تعلمه هي عن نفسها حين يصفونها بالطفولة !

ربما يكون نظر هؤلاء قد وقع على رواية الإمام مسلم التي تحدث عن زفاف السيدة عائشة إلى رسول الله – ﷺ – ولعبها معها ([٤]) ، أو تلك الروايات الصحيحة التي تذكر أن السيدة عائشة ظلت تحب اللعب بهذه العرائس والدمى بعد زواجها من النبي – عليه الصلاة والسلام – ومنها :

ما رواه أبو داود - بسنده - عن عائشة - رضى الله عنها - قالت قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر ، وفى سهوتها ستر فهبت ريح ، فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لعب فقال « ما هذا يا عائشة ». قالت بناتى. ورأى بينهن فرسا له جناحان من رقاع فقال « ما هذا الذي أرى وسطهن ». قالت فرس. قال « وما هذا الذى عليه ». قالت جناحان. قال « فرس له جناحان ». قالت أما سمعت أن لسليمان خيلا لها أجنحة قالت فضحك حتى رأيت نواجذه."([٥])

---

[١] – هناك رأي آخر أن النبي ﷺ بنى بها بعد غزوة بدر في شوال من العام الثاني للهجرة { انظر فتح الباري ٧ /٢٢٥ }

[٢] – شرح النووي على صحيح مسلم ج٩ ص ٢٠٦ .

[٣] – سنن الترمذي ج٣ ص ٤٠٩ ح /١١٠٩ ط / الحلبي ط/ ثانية ١٩٦٨ م –بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .وقال الألباني : رواه أحمد . وروي عن ابن عمر مرفوعا ضعيف مرفوعا والموقوف علقه البيهقي ولم أقف على إسناده {إرواء الغليل ٦ / ٢٢٩ ط/ المكتب الإسلامي بيروت ط : الثانية ١٩٨٥م }

[٤] – سبق ذكر هذه الرواية وتخريجها في المبحث السابق .

[٥] – سنن أبى داود – (٤ / ٤٣٨) وقال الألباني : صحيح ط / دار الكتاب العربي . بيروت

وأقول : وأين الدليل من هذه الروايات على عدم بلوغ السيدة عائشة سن المحيض ، وكونها صالحة للزواج ، ونحن نرى إلى اليوم في زماننا هذا ولع الفتيات البالغات بهذه العرائس خاصة التى لم ترزق بأطفال بعد ، وهذا كان شأن السيدة عائشة ، ولذا تركها النبي – ﷺ – على هذه الحالة من اللعب بالعرائس والدمى إيناسا لوحشتها من ناحية ، وإشباعا لحاجتها إلى الأمومة من ناحية أخرى .

وقد فطن العلماء إلى ذلك من زمن بعيد ؛ فقال القاضي عياض –كما يروي الإمام النووي عنه – في التعليق على الرواية الأولى : (وفي الحديث جواز اتخاذ اللعب وإباحة لعب الجواري بهن ، وقد جاء في الحديث الآخر أن النبي ﷺ رأى ذلك فلم ينكره . قالوا : وسببه تدريبهن لتربية الأولاد ، وإصلاح شأنهن وبيوتهن ، هذا كلام القاضي ، ويحتمل(والكلام للنووي) أن يكون مخصوصا من أحاديث النهى عن اتخاذ الصور لما ذكره .)([1])

فلا يدل وجود اللعب على كون السيدة عائشة طفلة عند زواجها من النبي ﷺ ، وإلا لبقيت طفلة بعد زواجها من النبي – ﷺ – بوقت طويل لاستمرار هذه العرائس معها ، ولكانت كل فتاة تحب اللعب بهذه العرائس لا تصلح للزواج حتى ولو صارت في العشرينات أو الثلاثينات من عمرها ، وهذا ما لايمكن أن يقول به عاقل .

٩ – لو لم تكن السيدة عائشة مكتملة البلوغ لروت لنا مجيء الحيض لها لأول مرة وهي عند النبي ﷺ .

من المعلوم أن الفتاة عندما ترى دم الحيض لأول مرة يحدث لها فزع وخوف شديد ، وكثير منهن لاتدري معنى هذا الدم ، وسبب نزوله ، وهذا مما يزيد من اضطرابها وقلقها . وإذا كان الإسلام قد رتب أحكاما تعبدية كثيرة على نزول هذا الدم ، فهذا يجعل الفتاة في حاجة أشد إلى من يشرح لها هذه الأحكام ، فإذا كان الناس في أول الإسلام ، والأحكام ليست معلومة عند كثير من المسلمين والمسلمات ازدادت حاجة الفتاة أكثر وأكثر إلى شرح ذلك وتفصيله.

فمن يدعي أن السيدة عائشة – رضي الله عنها – حين دخل بها النبي ﷺ لم تكن قد بلغت المحيض يلزم من دعواه أن الحيض جاءها وهي عند النبي ﷺ ، ولو حدث هذا لكانت السيدة عائشة ستروي لنا هذا الأمر الجديد في حياتها ، وماذا قال لها النبي في شأنه ، وكيف علمها الغسل ؟ لأن هذا الشأن ليس بالهين إذ يترتب عليه كثير من الأحكام التعبدية ، خاصة وهي التي روت لنا كثيراً من الأحكام الشرعية المتعلقة بأخص علاقة بين الزوج وزوجه .

فمعنى أن السيدة عائشة لم ترو ذلك : أن هذا دليل على أنها كانت حين زواجها من النبي ﷺ من النساء البالغات اللاتي يعرفن ما هو الحيض ، وما يجب عليهن نحوه ؟ ، ومما يدل على ذلك هذه المرأة التي جاءت تسأل عن الغسل من المحيض فوضح لها النبي ﷺ ذلك ، فلما لم تفهم معنى كنايته جذبتها السيدة عائشة لتعلمها ذلك .

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما بسندهما – واللفظ لمسلم – عن عائشة قالت سألت امرأة النبي ﷺ :كيف تغتسل من حيضتها . قال : فذكرت أنه علمها كيف تغتسل ، ثم تأخذ فرصة من مسك فتطهر بها. قالت كيف أتطهر بها ؟ قال : « تطهري بها. سبحان الله ». واستتر – وأشار لنا سفيان بن عيينة بيده على وجهه – قال : قالت عائشة واجتذبتها إلى ، وعرفت ما أراد النبي ﷺ فقلت : تتبعي بها أثر الدم."([2])

---

[1] – شرح النووي على صحيح مسلم ج ٩ ص ٢٠٨ .

[2] – صحيح البخاري ج١ ص ٧٠ ح / ٣١٤ . صحيح مسلم ج١ ص ٢٦٠ ح / ٣٣٢ .

فهل يمكن أن تقوم السيدة عائشة بدور المعلمة لامرأة من النساء في التطهر من الحيض على هذا النحو ، وهي لم تبلغ بعد ؟ لاشك . لا. إذن السيدة عائشة كانت مكتملة البلوغ عند زواجها بالنبي ﷺ عارفة بأمور النساء وخصائصهن كأحسن ما تكون المعرفة .

١٠ – الحب الشديد من السيدة عائشة لرسول الله – ﷺ – .

من أكبر الحجج والبراهين التي تنسف هذه الأوهام التي يحاول بها أعداء الله أن يصوروا زواج النبي ﷺ بالسيدة عائشة على أنه اغتصاب لطفولتها البريئة هذا الحب الخالص الشديد الذي كانت تكنه السيدة عائشة في قلبها لرسول الله ﷺ لدرجة أنها كانت تغار عليه غيرة شديدة من بقية نسائه ، وربما تدفعها هذه الغيرة إلى فعل مالا يرضي ، فكان النبي ﷺ يقدر لها هذه الغيرة أحياناً فيعفو عنها ، وأحياناً يردها إلى الصواب برفق ولين ، وأكتفي هنا بذكر ما يدل على غيرتها من أم المؤمنين خديجة بعد وفاتها.

عن عائشة قالت * ما غرت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم إلا على خديجة ، وإني لم أدركها قالت : وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة فيقول : أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة . قالت : فأغضبته يوما فقلت : خديجة فقال رسول الله ﷺ إني قد رزقت حبها »([١])

فهذه الغيرة الشديدة من السيدة عائشة على رسول الله ﷺ . حتى إنها لتغار من مجرد ذكره لزوجته المتوفاة ، أليست من علامات الحب الشديد الخالص منها لرسول الله ﷺ فهل يمكن أن تحب مغتصبة –كما يدَّعون – من اغتصبها مثل هذا الحب ؟!!! ، وهل يمكن لامرأة اعتدى رجل كبير على طفولتها ، وأخذ منها زهرة شبابها أن تُكِنَّ له مثل هذه المشاعر الفياضة والعواطف الجياشة ؟!!!

إن هذه العلاقة الحميمة العالية التي كانت بين رسول الله ﷺ والسيدة عائشة لتؤكد أن السيدة عائشة نعمت بأسعد حياة عرفتها امرأة في الوجود ، في كنف زوج رحيم عطوف محب لها لم تر البشرية حباً مثل هذا الحب من زوج لزوجه ؛ فقد كانت أحب الخلق إليه

روى الإمامان البخاري ومسلم – بسنديهما – عن عمرو بن العاص ﷺ : أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل فأتيته فقلت أي الناس أحب إليك ؟ قال عائشة . فقلت من الرجال ؟ فقال أبوها . قلت ثم من ؟ قال عمر بن الخطاب .فعد رجالا ."([٢])

وهي – أيضاً - كان رسول الله أحب الخلق إليها ، ولعل هذه الصورة التي توفي عليها رسول الله ﷺ لتؤكد ذلك دون شرح أو تفصيل .

روى الإمام البخاري –بسنده - عن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه يقول (أين أنا غدا أين أنا غدا) . يريد يوم عائشة فأذن له أزواجه يكون حيث شاء فكان في بيت عائشة حتى

---

[١] – صحيح مسلم ج٤ ص ١٨٨٨ ح/ ٢٤٣٥ .

[٢] – صحيح البخاري ج٥ ص٥ ح/ ٣٦٦٢ . صحيح مسلم ج٤ ص ١٨٥٦ ح /٢٣٨٤ .

مات عندها قالت عائشة فمات في اليوم الذي يدور علي فيه في بيتي فقبضه الله وإن رأسه لبين نحري وسحري وخالط ريقه ريقي.([1])

١١- لم يسع أبو بكر الصديق ﷺ إلى هذا الزواج

حاول أعداء الإسلام – وهم يصفون زواج النبي ﷺ بالسيدة عائشة على أنه اغتصاب للطفولة البريئة – أن يطعنوا في شهامة الصديق ﷺ ومروءته ؛ فيصورونه في صورة رجل يدفع ابنته الصغيرة لصديقه إرضاء له ، واستجابة لرغباته دون أن تحركه المروءة للدفاع عن ابنته ، والوقوف في وجه هذه الرغبة ، وهم كاذبون ومفترون في هذا التصور ، فقد كذبوا وافتروا الباطل على رسول الله ﷺ أفلا يقع ذلك منهم في حق الصديق أبي بكر ؟! بلى ، ومع بيان كذب هذا الافتراء من خلال الحجج والبراهين السابقة أزيد القارئ حجة أخرى تبرئ ساحة الصديق مما حاولوا أن يلصقوه به وهذه الحجة هي :

أن أبا بكر ﷺ لم يكن يتطلع إلى هذا الزواج ، ولم يسع إليه ، على الرغم من المنزلة الكبيرة التي ستنالها ابنته من هذا الزواج من كونها زوجة لرسول الله ﷺ ، وأماً للمؤمنين إلى قيام الساعة ، والمنزلة التي سينالها هو — أيضاً — من كونه حماً لرسول الله ﷺ بل تقول الروايات الصحيحة : إن أبا بكر ﷺ استنكر هذا الأمر في البداية لظنه أن أخوة الدين التي بينه وبين رسول الله تمنع ذلك الزواج ، فلما بين له رسول الله ﷺ جواز هذا الأمر قَبِل الزواج فرِحاً مسروراً .

روى الإمام البخاري في صحيحه — بسنده – أن النبي ﷺ خطب عائشة إلى أبي بكر . فقال له أبو بكر : إنما أنا أخوك فقال : (أنت أخي في دين الله وكتابه وهي لي حلال)([2])

وفي رواية الإمام أحمد تفصيل أكثر : عن أبي سلمة ويحيى قالا : " لما هلكت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون قالت يا رسول الله : ألا تزوج ؟ قال : من ؟ قالت : إن شئت بكرا وإن شئت ثيبا . قال : فمن البكر ؟ قالت : ابنة أحب خلق الله عز وجل إليك عائشة بنت أبي بكر . قال : ومن الثيب ؟ قالت : سودة ابنة زمعة قد آمنت بك واتبعتك على ما تقول . قال : فاذهبي فاذكريهما علي.

فدخلت بيت أبي بكر فقالت : يا أم رومان ماذا أدخل الله عز وجل عليكم من الخير والبركة ؟ قالت : وما ذاك ؟ قالت : أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة . قالت : انتظري أبا بكر حتى يأتي . فجاء أبو بكر فقالت : يا أبا بكر ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ؟ قال : وما ذاك ؟ قالت : أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة قال : وهل تصلح له إنما هي ابنة أخيه ؟

فرجعت إلى رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك . قال : ارجعي إليه ، فقولي له : أنا أخوك وأنت أخي في الإسلام وابنتك تصلح لي ، فرجعت ، فذكرت ذلك له ....."([3])

وهاتان الروايتان تؤكدان ثلاثة أمور :

---

[1] – صحيح البخاري ج٦ ص ١٣ ح/ ٤٤٥٠ .

[2] – ج٧ ص٥ ح / ٥٠٨١

[3] – سبق تخريجه أول المبحث

الأول : أن أبا بكر ﷺ لم يكن يعلم رغبة رسول الله ﷺ في الزواج من عائشة حتى جاءت خولة بنت حكيم بالخبر لأم رومان زوجته فأخبرتها بذلك .

الثاني : أن الذي عرض على رسول الله ﷺ الزواج من السيدة عائشة هي خولة بنت حكيم بعد أن كان رسول الله ﷺ قد رآها في الرؤيا ، وليس أبو بكر الصديق كما يدعي هؤلاء .

الثالث : أن أبا بكر ﷺ توقف في قبول هذا الأمر في البداية ، وتردد فيه لظنه أن أخوة الإسلام تمنع من المصاهرة ، وللعدة التي كانت بينه وبين المطعم بن عدي .

وبهذه الأمور الثلاث تنتفي شبهة تقديم الصديق ابنته عائشة لرسول الله ﷺ ليتزوجها كما صور ذلك أعداء الإسلام.

ثانياً : حجج وبراهين من العهدين القديم والجديد وهي كتب دينية عندهم.

بداية أؤكد أنه لايوجد نص في العهدين القديم والجديد يمنع من زواج الفتاة في التاسعة من عمرها ، كما لايوجد تحديد لسن الزواج عند الفتى والفتاة ، وأجازت نصوص العهدين وجود فارق كبير في السن بين الرجل والمرأة عند الزواج ، ويكفي هذا دليلاً على أنه لا يحق لليهود والنصارى – من خلال كتبهم المقدسة – أن يطعنوا في زواج النبي ﷺ بالسيدة عائشة وهي في التاسعة من عمرها .

ومع وضوح هذه البينة نجد أن هناك نصوصاً في كتب القوم تشير إلى وقوع مثل هذا الزواج . بل تبيح ما هو أقل منه من ناحية السن بالنسبة للمرأة ، وما هو أكثر من ناحية الفارق العمري بين الرجل وزوجته وهاك بعضاً منها :

١- الرجل يتزوج وعمره عشر سنوات فكم يكون عمر زوجته ؟

ورد في العهد القديم أن (آحاز) تزوج وهو ابن عشر سنين، وأنجب وهو ابن إحدى عشرة سنة ،

فقد ورد في سفر " الملوك الثاني ١٦:٢ " : « كَانَ آحَازُ ابْنَ عِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ، وَمَلَكَ سِتَّ عَشَرَةَ سَنَةً فِي أُورُشَلِيمَ. وَلَمْ يَعْمَلِ الْمُسْتَقِيمَ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ إِلهِهِ كَدَاوُدَ أَبِيهِ،"

وورد في نفس السفر "الملوك الثاني ١٨:٢" : « وَفِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ لِهُوشَعَ بْنِ أَيْلَةَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ مَلَكَ حَزَقِيَّا بْنُ آحَازَ مَلِكِ يَهُوذَا. كَانَ ابْنَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ، وَمَلَكَ تِسْعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً فِي أُورُشَلِيمَ، وَاسْمُ أُمِّهِ أَبِي ابْنَةُ زَكَرِيَّا».

فيكون عمر آحاز ستاً وثلاثين سنة حين انتهى ملكه . فإذا ملك ابنه وعمره نحو خمس وعشرين سنة يكون أبوه قد رُزِقَ به وعُمره نحو إحدى عشرة سنة .

ومن المعروف أن سنّ نضوج الإناث يقل عن سن نضوج الذكور المتوطنين في نفس الإقليم ، فهذا يعني أن زوجته ربما كانت في التاسعة أو العاشرة مثله ، بل وكانت صالحة لتنجب في ذلك السن . فلماذا ينكرون أن السيدة عائشة تزوجت في سن التاسعة من عمرها ؟

٢- التلمود يبيح زواج البنت وهي في الثالثة ويوم من عمرها .

ورد في الوصية الخامسة والخمسين من تلمود السنهدرين " يجوز لليهودي أن يتزوج فتاة عمرها ثلاث سنوات ، وأكثر تحديداً عمرها ثلاث سنوات ويوم "([١])

بل أكثر من ذلك في الوصية التي قبلها من نفس التلمود : " يجوز لليهودي أن يمارس الجنس مع طفل ما دام الطفل دون سن التاسعة "([٢])

فما رأي هؤلاء الذين يفترون على الزواج العفيف الطاهر الذي تم بين رسول الله ﷺ والسيدة عائشة في هذه التعاليم اليهودية ؟ . ولا بد من الإشارة هنا أن تعاليم التلمود من وضع الأحبار ، ولا علاقة لها البتة بالتوراة التى أنزلها الله على نبيه موسى – عليه السلام – .

٣ – ما ينسبه العهد القديم لداود عليه السلام في أواخر حياته

ورد في سفر الملوك الأول إصحاح ١ : فقرات ١– ٢– ٣ : " وَشَاخَ الْمَلِكُ دَاوُدُ. تَقَدَّمَ فِي الأَيَّامِ. وَكَانُوا يُدَثِّرُونَهُ بِالثِّيَابِ فَلَمْ يَدْفَأْ. فَقَالَ لَهُ عَبِيدُهُ: "لِيُفَتِّشُوا لِسَيِّدِنَا الْمَلِكِ عَلَى فَتَاةٍ عَذْرَاءَ، فَلْتَقِفْ أَمَامَ الْمَلِكِ وَلْتَكُنْ لَهُ حَاضِنَةً وَلْتَضْطَجِعْ فِي حِضْنِكَ فَيَدْفَأَ سَيِّدُنَا الْمَلِكُ". فَفَتَّشُوا عَلَى فَتَاةٍ جَمِيلَةٍ فِي جَمِيعِ تُخُومِ إِسْرَائِيلَ، فَوَجَدُوا أَبِيشَجَ الشُّونَمِيَّةَ، فَجَاءُوا بِهَا إِلَى الْمَلِكِ."

فعلى حسب زعمهم أن نبي الله داود تقدمت به السن لدرجة أنه كان لا يشعر بالدفء مهما حاولوا تغطيته بالثياب ، فاقترح عبيده أن يأتوا بفتاة عذراء (بكر) ليتزوجها داود – عليه السلام – ، وهنا نتساءل كم – يا ترى – كان بينهما في العمر ؟ لاشك أن الفارق كان كبيراً جداً بين شيخ طاعن في السن ، وبين هذه الفتاة العذراء ؟ ولم نسمع أحداً منهم يعترض على هذا الفارق الكبير ، ناهيك عن أن يعترض على ما يحمله هذا النص من إيماءات جنسية لا تليق بأنبياء الله ورسله .

٤– السيدة مريم كانت معقوداً عليها ليوسف النجار وهي في الثانية عشرة من عمرها وهو في التاسعة والثمانين من عمره .

تقول الموسوعة الكاثوليكية – حسب الترجمة – أن السيدة مريم – عليها السلام – حين عقد عليها يوسف النجار كانت في الثانية عشرة من عمرها ، وكان هو على مشارف التسعين (تسع وثمانون سنة)([٣]) ، وهذا يدل على أمرين :

الأول : أن السيدة مريم كانت بالغة في هذه السن المبكرة ، ولو قارن هؤلاء المفترون بين سنها وسن الفتيات ذوات الاثنتي عشرة سنة في أيامنا لكان عليهم أن يتعجبوا كيف تتزوج فتاة في هذه السن المبكرة ؟ لكنهم يتحدثون فقط عن الإسلام ونبيه – ﷺ – .

---

[١] - www .rasaoulallah.net/23/6/2009

[٢] www.3almani.org ٢٠١٠/٣/١٤

[٣] - www.newadvent.org/cathen/

الثاني : يصل الفارق بين عمر السيدة مريم وزوجها يوسف النجار إلى حوالي سبع وسبعين سنة . في حين يصل الفارق بين عمر النبي – ﷺ – والسيدة عائشة إلى أربع وأربعين سنة فقط ، فأيهما كان أدعى للنقد والتندر والاتهام والتهكم على زواج الرجل الكبير من فتاة صغيرة ؟! ، ولماذا لم يرثوا لحياة السيدة مريم مع هذا الرجل الذي قارب التسعين من عمره ، وهي في مقتبل حياتها ، كما ادعوا أنهم ينتصرون للسيدة عائشة ؟

إن هذا مما يفضح نواياهم الخبيثة أن المقصود هو الإسلام ونبيه ﷺ ، ليست الطفولة أو الدفاع عن المرأة كما يدعون .

ثالثاً : وشهد شاهد من أهلها .

كلما كثر أشياع الباطل فضحهم الله تعالى بمن يخرج من بينهم ليكشف عوار باطلهم وزيفه ، وهذا ما حدث مع المستشرقين الذين خاضوا في عرض النبي ﷺ بسبب زواجه من السيدة عائشة وهي في التاسعة من عمرها ، فقد خرج أحدهم ، وهو المستشرق (بودلي) في كتابه (الرسول حياة محمد) ليقول الحق في ذلك ، فماذا قال هذا المستشرق ؟

قال : "كانت عائشة على صغر سنها نامية ذلك النمو السريع التي تنموه نساء العرب ، والذي يسبب لهن الهرم في أواخر السنين التي تعقب العشرين . "([1])

ويتكفل بالرد على إخوانه من المستشرقين قائلاً : " ولكن هذا الزواج شغل بعض مؤرخين لمحمد .. نظروا إليه من وجهة نظر المجتمع العصري الذي يعيشون فيه ، فلم يقدروا أن زواجاً مثل ذاك كان ولا يزال عادة أسيوية ، ولم يفكروا أن هذه العادة لا زالت قائمة في شرق أوربا ، وكانت طبيعية في أسبانيا والبرتغال إلى سنين قليلة ، وانها ليست غير عادية في بعض المناطق الجبلية بالولايات المتحدة . "([2])

فهذه شهادة مستشرق منصف زار الجزيرة العربية ، ورأى بعينه ، وكتب هذه الحقيقة دون تعصب أو إكراه فماذا عسى هؤلاء المفترون أن يقولوا بعد ذلك ؟؟

ومع ذلك إمعاناً في بيان الحق نكمل لهم بقية الحجج الطبية والواقعية من عصرنا الحالي على النحو التالي :

رابعاً : حجج وبراهين طبية وواقعية

إذا ذهبنا نستطلع رأي الطب في قضية زواج النبي ﷺ بالسيدة عائشة ، وهي في التاسعة من عمرها لابد أن نبحث عند الأطباء عن إجابة عن سؤالين رئيسين من خلالهما ستتجلى لنا الحقيقة في هذه القضية ، وهذان السؤالان هما :

١- هل هناك سن محددة تحيض فيها المرأة من الناحية الطبية ؟

٢- هل هناك علاقة بين التغيرات المناخية والبيئية وسرعة البلوغ ؟

أما بالنسبة للإجابة على السؤال الأول وهو : هل هناك سن محددة تحيض فيها المرأة من الناحية الطبية ؟

---

[1] – الرسول حياة محمد لبودلي ص ١٧٤ ترجمة / عبد الحميد جودة السحار ومحمد محمد فرج ط/ مكتبة مصر بدون تاريخ

[2] – المرجع السابق نفس الصفحة .

فإن الأطباء يرون أنه لا يمكن تحديد سن معينة تحيض فيها جميع النساء ، وذلك لاختلاف التكوين الجسدي والهرموني من امرأة إلى أخرى ، ولذا يقدرون فترة زمنية تمتد إلى أربع أو خمس سنوات يقع فيها الحيض بالنسبة للمرأة ، ولا يمانعون أن تحيض بعض النساء قبل هذه الفترة أو بعدها ، وهذا دليل على أن تحديد سن معينة للحيض عند جميع النساء يكاد يكون ضرباً من المستحيلات .

يقول الدكتور /محمد بن حسن عدار : (يبدأ الحيض عند الفتاة ما بين سن العاشرة والرابعة عشرة ، وقد يتأخر ظهوره إلى سن السادسة عشرة من العمر، ويكون المتوسط في سن الثانية عشرة ويستمر حتى سن الخمسين. وإذا ظهر الحيض قبل سن العاشرة تكون الفتاة قد بلغت قبل أوانها ، أما إذا حدث تأخير في ظهور الحيض إلى ما بعد سن السابعة عشرة أو أكثر فتكون هذه الظاهرة تأخراً وقتياً في البلوغ سببه خلل واضطراب في افراز الغدد الجنسية أو وجود نقص في تكوين أعضاء الفتاة التناسلية .)([1])

كما تقول الدكتورة "دوشني" – وهي طبيبة أمريكية - " :-إن الثابت طبيًّا أن أول حيضة والمعروفة باسم (المينارك menarche)تقع بين سن التاسعة والخامسة عشرة "([2])

فإذا كان الأطباء – على الرغم من التقدم الهائل الذي وصل إليه الطب في هذا العصر – لا يستطيعون تحديد سن معينة تحيض فيها المرأة ، ولا يستبعدون أن تحيض الفتاة في التاسعة أو العاشرة من عمرها ، فما بال هؤلاء يستبعدون على السيدة عائشة ومن في أمثالها في السن من فتيات العرب أن يحيضوا في سن التاسعة ؟!

ولابد أن نذكر أن هناك فارقاً بين البلوغ والحيض من حيث السن ، فعلامات البلوغ تسبق الحيض بعامين أو ثلاثة ، ويأتي الحيض في نهاية علامات البلوغ للدلالة على اكتماله تماماً .

تقول الدكتورة/ شهيرة الشبلي : " يعرف البلوغ بظهور الصفات الجنسية الثانوية ، وهو يحدث وسطيا عند الإناث بعمر ٨–١٣ سنة ، وعند الذكور : ٩–١٤ سنة. ويعرف البلوغ المبكر بظهور الصفات الجنسية الثانوية بعمر أقل من ٨ سنوات للإناث ، و٩ للذكور . أما تأخر البلوغ فيعرف بغياب الصفات الجنسية بعد عمر ١٣ سنة للإناث ، و١٤ سنة للذكور... ." ثم تذكر تطور البلوغ عند الإناث وعلاماته فتقول : " أما الحدث الأخير فهو ظهور الطمث ، وعادة يكون بعد ٢إلى ٣ سنوات بعد أول علامة . "([3])

وهذا يفسر لنا من الناحية الطبية لماذا عقد النبي ﷺ على السيدة عائشة وهي تناهز السابعة ، ولم يدخل بها إلا وهي تناهز العاشرة ، ذلك لأن أمارات البلوغ بدأت تظهر عليها في السادسة وكسر ، وعملية البلوغ ونزول الحيض قد تمت بالنسبة لها في التاسعة وكسر .

---

[1] – جريدة الرياض الأربعاء ١٧ شوال ١٤٢٧هـ – ٨ نوفمبر ٢٠٠٦م – العدد ١٤٠١٦ }

[2] - www. Islamway.com2008/04/17 بقلم / محمد عبد العزيز الهواري .
http://www.d-alsonah.com/vb/archive/index،٢٠٠٨-٢٣-١٢

[3] – البلوغ الطبيعي واضطرابات البلوغ – مقال منشور على موقع www.ebm-syria. .com

ومن ناحية الفروق الفردية التي تجعل عملية البلوغ تختلف من امرأة لأخرى حتى في زماننا هذا . يظهر من وصف السيدة عائشة أنها كانت تفوق أقرانها من ناحية طول الجسم ، بدليل أنها عابت السيدة صفية – رضي الله عنها – بقصر القامة – كما في الحديث الصحيح –([1]) وهذا يشير إلى أن تكوينها الجسدي يرشحها للبلوغ قبل قريناتها في نفس السن .

وأما الإجابة على السؤال الثاني وهو: هل هناك علاقة بين التغيرات المناخية والبيئية وسرعة البلوغ ؟

فيمكن أن نفهم الإجابة عليه إذا علمنا كيف يحدث البلوغ عند المرأة ، وما العوامل المؤثرة في حدوثه ؟ وذلك على النحو التالي :

"تبدأ الصفات الجنسية الثانوية للفتاة في الظهور قبل عام أو عامين من نزول أول طمث (الحيض) ، ويتحكم في هذه الصفات الثانوية مجموعة من الهرمونات (الهرمون هو مادة كيميائية حيوية تفرز مباشرة في الدم بواسطة غدد تسمى الغدد الصماء). أما الهرمونات التي تتحكم في هذه الصفات الثانوية فهي :

١- الهرمونات العصبية : وهناك عدد من العوامل تتحكم فيها ، من هذه العوامل: قشرة المخ الخارجية – نوعية الغذاء –الانفعالات والعواطف – الهرمونات التي يقوم المبيضان بإفرازها. ومن ذلك يتضح لنا لماذا يتأثر البلوغ بما يحتويه من حيض وتبويض بعوامل يجب الاحتراز منها في تلك الفترة الحرجة في عمر الفتيات مثل الاكتئاب النفسي (من أمراض العصر التي لم تكن معروفة من قبل) والخوف والصدمات النفسية والعصبية ، وفقدان الشهية والنحافة الشديدة.

٢- هرمونات الغدة النخامية (الفص الأمامي)

٣- هرمونات المبيض (الإستروجين و البروجيسترون) "([2])

ونتوقف هنا عند الهرمونات الأولي والعوامل المؤثرة فيها ، وبعض هذه العوامل عوامل خارجية تتعلق بنوعية الغذاء وضخامة ونحافة الجسم ، والحالة النفسية التي تعيشها الفتاة ، وهذا يؤكد أن البيئة الخارجية التي تحيط بالفتاة لها تأثير في عملية البلوغ عندها ، ومن ثم لايمكن مقارنة الفتاة في البيئة الصحراوية بالفتاة في البيئة الحضرية من حيث البلوغ لأن نوعية الغذاء مختلفة ، والجو المحيط بكلتا الفتاتين بعيد الاختلاف جداً ، وهذا يقودنا إلى اعتبار الفروق البيئية في عملية البلوغ .

ومما يؤكد هذه الفروق في عصرنا الحالي انخفاض سن البلوغ في أغلب أنحاء العالم مع النمو الجنسي المبكر للفتيان والفتيات ، وكثرة المثيرات الشهوانية التي أفرزتها التغيرات الاجتماعية والصناعية والثقافية والإعلامية التي طرأت على العالم في القرن العشرين .

---

[1] - سنن أبي داود ك/ الأدب ب/ في الغيبة ٤/ ٥٢٩ ح / ٤٨٧٥ وقال الألباني : صحيح { مرجع سابق }

[2] www.alshamsi.net/women/blooq3

يقول د/ محمد علي البار : "انخفض سن البلوغ في الولايات المتحدة وأوروبا بمعدل ثلاثة أشهر لكل عقد من الزمن ، وأنه انخفض بمعدل سنتين ونصف منذ بداية القرن العشرين نتيجة لما يسمى بالثورة الجنسية التي تبثها أجهزة الإعلام ، وتراخى النظرة الاجتماعية بالنسبة للعلاقات الجنسية ، وغياب سلطة الوالدين ، والبلوغ المبكر "(١) .

ولمَ نذهب بعيدا ، وهذا البيان المشترك بين منظمة الصحة العالمية و(اليونيسف) حول صحة التوالد في سن المراهقة يقرر هذا فيقول :- " مع انخفاض سن بدء الإحاضة (الحيض) والاتجاه المتزايد نحو تأخير سن الزواج أصبحت هذه الفترة (أي فترة المراهقة) أكثر طولا ... "(٢)

ومن ثم عندما نقول إن السيدة عائشة كانت مكتملة البلوغ – هي وأترابها ممن كن يحضن في هذه السن – وهي في التاسعة من عمرها منذ ما يزيد على ألف وأربعمائة سنة فما وجه الغرابة في هذا ، وكيف من الناحية الطبية – أن نقيسهن في ذلك التاريخ وتلك البيئة التي كن يعشن فيها مع فتيات اليوم وبيئتهن المترفة ، ونوعية الغذاء المرفهة ، وقد علمنا سابقاً أن هذه العوامل لها تأثيرها في الهرمونات المسببة لعملية البلوغ .

من خلال الإجابة على السؤالين السابقين يتبين لنا أن الطب لاينفي أن تبلغ الفتاة في التاسعة من عمرها ، ويقر بأثر البيئة في اختلاف وقت البلوغ عند الفتيات من مجتمع لآخر ، فأي حجج طبية يمكن أن يستند إليها هؤلاء المفترون بعد ذلك !!!

وإذا ذهبنا إلى الواقع الحالي في القرن العشرين والحادي والعشرين الميلادي نجد في بعض المجتمعات – كصعيد مصر وأريافها وبعض مناطق المملكة العربية السعودية – من يبلغن وهن في العاشرة من عمرهن . بل ويتزوجن في الثانية عشرة من عمرهن. فهل يستطيع أحد بعد ذلك أن ينفي بلوغ السيدة عائشة وقد جاوزت التاسعة من عمرها ، وهذا منذ ما يزيد على ألف وأربعمائة سنة .

بل قد تقع بعض الحالات في واقعنا المعاصر في القرن العشرين تحيض المرأة قبل ذلك ، ومن هذه الحالات النادرة ما نشرته جريدة الجمهورية المصرية في عددها الصدر بتاريخ (١ / ١٠ /١٩٩٧ م) الصفحة الثانية منها هذا الخبر تحت عنوان "طفلة باكستانية ٨ سنوات حامل فى شهرها الخامس تقول : اكتشف الأطباء الباكستانيون وجود طفلة عمرها ٨ سنوات حاملاً فى شهرها الخامس .... "(٣)

وما قالته منظمة خاصة بان بنت نيكاراجوية عمرها تسع سنوات أجرت عملية الإجهاض في عيادة خاصة.(٤)

---

(١) سياسة ووسائل تحديد النسل في الماضي والحاضر ص ١٤٠ ، ١٤١ د / محمد على البار ط. مكتبة العصر الحديث . بيروت . ط. أولى سنة ١٩٩١م .

٢ . صحة التوالد في سن المراهقة ص ٥ بيان مشترك بين منظمة الصحة العالمية واليونيسف .

٣ نقلا عن تحفة العروس أ/ محمد مهدي الاستانبولي ص ١٧ ط/ المكتب الإسلامي.

٤- www.elsalvador.com/noticies/2003/04/04

وما ذكره الباحث / محمود سليمان علي – في رسالته لنيل الماجستير عما أخبره به الدكتور / عمر أحمد الشيخ (طبيب أسنان بمستشفى حراء العام بمكة) أنه أجرى كشفاً على فتاة في العاشرة بغرض اجتثاث ضرس لها ، وعند سؤال من معها من أهلها علم أنها تحيض منذ فترة ليست بالقصيرة . "([١])

وقد رأيت بنفسي – والباحث ينتمي إلى شمال الصعيد بمصر – من جداتي وعماتي وقريباتي من أخبرنني أنهن تزوجن في الحادية عشرة والثانية عشرة من عمرهن ، بعضهن بعد الابتدائية مباشرة ، وهذا في الستينات والسبعينات من القرن الماضي (القرن العشرين)

فهذا الواقع المعاصر – أيضاً – بعد هذه القرون الطويلة من زواج السيدة عائشة – يقر بإمكانية بلوغ بعض النساء وزواجهن في مثل سن السيدة عائشة . فماذا عسى هؤلاء المفترون أن يتقولوا ويدعوا بعد ذلك !!!

خلاصة المبحث :

من خلال ما سبق من براهين وأدلة من حياة النبي ﷺ والمجتمع العربي إبان زواج النبي ﷺ بالسيدة عائشة ، ومن براهين وأدلة من الكتب المقدسة لدى اليهود والنصارى ، وبراهين وأدلة من المستشرقين أنفسهم ، وبراهين وأدلة طبية وواقعية يتأكد لدى كل منصف أن السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ﷺ في التاسعة من عمرها كانت فتاة بالغة مكتملة البلوغ شأنها شأن بعض النساء في زمانها ، وأنه لايلزم من كون الغالبية العظمى من بنات التاسعة في زماننا هذا لايبلغن في هذه السن أن تكون السيدة عائشة مثلهن ، ففارق الزمن كبير ، وقياسها عليهن قياس غير صحيح لأن الفوارق كثيرة .

وأن زواج النبي ﷺ بها على الرغم من الفارق العمري بينهما كان مألوفاً ومعتاداً في ذلك الوقت عند الغرب وغيرهم . لذا استقبله المجتمع العربي – بل والمجتمع العالمي طيلة القرون السابقة – بالارتياح والرضا إلاّ نفر من المستشرقين والمنصرين في العصر الحديث المعروفين بتعصبهم الشديد ضد الإسلام ونبيه ، وأن هذا الزواج كان من ورائه حكماً جليلة وفوائد عديدة – سيأتي الحديث عن بعضها في المبحث الرابع من هذا البحث بمشيئة الله تعالى – .

[١] – أم المؤمنين عائشة ومروياتها في التفسير ج١ ص ٣٤ – ٣٥ .رسالة ماجستير بقسم الكتاب والسنة –كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القري سنة ١٤١٠هـ

المبحث الثالث

شبهات المشككين في عمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ﷺ والرد عليها

استوقف عمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ﷺ بعضاً من المؤرخين والباحثين في العصر الحديث ، ونظروا إلى الروايات التي وردت في الصحيحين وغيرهما ، والتي تنص على أن النبي ﷺ عقد عليها وهي في السادسة وعدة أشهر من عمرها ، وبنى بها وهي في التاسعة من عمرها نظرة استنكار ورد، وذلك لعدة أسباب :

١- إتباعهم للمستشرقين وأعداء الإسلام في أن هذا الأمر لايقبله العقل في زماننا هذا لأن بنت التاسعة أو العاشرة اليوم تعد طفلة فكيف تطيق الزواج ؟ ، وكيف دخل بها النبي ﷺ وهي في هذه السن الصغيرة والطفولة البريئة ، فالعقل عندهم هو الفصل وليس الشرع .

٢- اجتياح العالم اليوم موجة المطالبة بحقوق المرأة والطفل في المواثيق الدولية والمنظمات الإنسانية حتى أصبحت هذه المواثيق بمثابة ورقة ضغط على الحكومات والدول التي لاتطبق مفهوم الغرب في حرية المرأة والطفل ، لذا يريد هؤلاء الباحثون أن يؤكدوا أن الإسلام يتماشى مع هذه المواثيق ، ولو على حساب النصوص الشرعية.

٣- استغلال قلة قليلة من المسلمين لهذه الروايات الصحيحة استغلالاً سيئاً في تزويج بناتهم الصغيرات من كبار السن – خاصة الأثرياء منهم - ، فبدل أن يقوم هؤلاء الباحثون بدورهم في توضيح كيفية تنزيل الرواية والحكم الشرعي على الواقع الحالي ، مع بيان اختلاف الزمان ، و تغير الدوافع وراء الزواج ذهبوا يردون الروايات الصحيحة لسوء تطبيق المسلمين لها ، وكأن الدين هو الذي يجب أن يتغير للواقع وليس العكس ولو طبقنا هذا على كثير من الأحكام الشرعية لضاع الإسلام ولم يبق منه إلا اسمه .

وتختلف أهداف هؤلاء الطاعنين في رواية الصحيحين لعمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ﷺ ؛ فبعضهم يهدف إلى إبطال شبهات المستشرقين حول النبي ﷺ فقط ، ويأتي على رأسهم الأستاذ / العقاد – رحمه الله – في كتابه (الصديقة بنت الصديق) حيث يقول بعد أن رجح أن السيدة عائشة كانت ما بين الثانية عشرة والخامسة عشرة عند الزواج : " ذلك هو التقدير الراجح الذي ينفي ما تقوله المستشرقون على النبي بصدد زواجه بعائشة في سن الطفولة الباكرة ، وكل تقدير غير ذلك فهو تقدير مرجوح . "[١]

وبعضهم يدفعه إلى ذلك تنقية التراث والتاريخ الإسلامي مما يسميها (أباطيل وخرافات لايقبلها العقل) ، ويأتي على رأس هؤلاء المؤرخ الدكتور/ حسين مؤنس في كتابه (تنقية أصول التاريخ الإسلامي) حيث يقول : " لقد أثبتنا نحن - جماعة من مؤرخي الإسلام – أن عائشة عندما تزوجت رسول الله كان عمرها تسعة عشر عاما ، وهذا هو المعقول المقبول . "[٢] ، وتبعه والدكتور/ إبراهيم علي شعوط في كتابه (أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ).وبعضهم

[١]- ص ٤٩ ط/ نهضة مصر ط / رابعة ٢٠٠٥م

[٢] – تنقية أصول التاريخ الإسلامي للمؤلف ص ٥ – ٦ ط/ دار الرشاد بالقاهرة ط/ الأولى ١٩٩٧م .

يهدف إلى سن قوانين ، ووضع عقوبات لتزويج القاصرات ، ويأتي على رأس هؤلاء الدكتورة / سهيلة زين العابدين حماد – عضو جمعية حقوق الإنسان السعودية– في عدة مقالات نشرتها في صحيفة (المدينة السعودية([1])

وبعضهم يظن بذلك أنه ينتصر للسيدة عائشة ، ويبين الحقيقة التي غابت عن المسلمين طوال هذه القرون ، ويأتي على رأس هؤلاء الدكتور / عبد المنعم الحفني في موسوعته " أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر "([2]) ، والدكتورة / جواهر سرور باسلوم في رسالتها في الماجستير بعنوان " دراسة لحياة أم المؤمنين عائشة على ضوء الكتاب والسنة"([3])، وبعض الدعاة الذين انساقوا وراء هؤلاء .

وأخيراً تهدف قلة من هؤلاء الباحثين إلى الطعن في كتب التراث عامة والصحيحين خاصة من خلال رد رواية عمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ﷺ ، ويمثل هؤلاء الصحفي / إسلام بحيري([4]) ، ومن أيده وافتخر به من التيار العلماني في مصر . حيث نشر هذا الصحفي مقالاً مطولاً في (جريدة اليوم السابع الاليكترونية)([5]) عبارة عن دراسة تاريخية حديثية ادعى فيها أن عمر السيدة عائشة عندما تزوجها النبي ﷺ كان ثمانية عشر عاماً ، ثم عقب في آخر هذه الدراسة قائلاً : " فلا يجب أن نجل البخاري ومسلم أكثر مما نجل الرسول الكريم ، فلنا أن نقبل ما رفضوه ، وأن نرفض ما قبلوه ، فالإسلام ليس حكرا على الفقهاء والمحدثين ولا على زمانهم فقط ، لذا فإننا نستطيع وبكل أريحية أن نستدرك على كل كتب الحديث والفقه والسيرة والتفسير ، وأن ننقدها ونرفض الكثير مما جاء بها من أوهام وخرافات لا تنتهي ، فهذه الكتب في النهاية محض تراث بشري لا يجب ولا ينبغي أن يصبغ بالقدسية أو الإلهية أبدا ، فنحن وأهل التراث في البشرية على درجة سواء ، لا يفضل أحدنا الآخر ، فصواب أعمالهم لأنفسهم والأخطاء تقع علينا.)

ومما لاشك فيه أن كل هؤلاء جميعاً لكي يصلوا إلى تحقيق أهدافهم قاموا بجمع شبهات حول رواية الصحيحين ، واعتبروا هذه الشبهات أدلة تهدم وتطعن في رواية الصحيحين وكتب السنة جميعاً في كون عمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ﷺ تسعة أعوام وبضعة أشهر .

وقد تتبعت هذه الشبهات التي ذكروها جميعا فبلغت ثلاث عشرة شبهة سأعرضها – بمشيئة الله تعالى – واحدة تلو الأخرى دون التركيز على قائليها لأنهم جميعاً ينقلونها عن بعضهم البعض ، وبعضهم يضيف على من سبقه شبهة أو اثنتين ...وهكذا ، وسوف أرد على الشبهة بعدها مباشرة لكي يقف القارئ على إبطال شبهاتهم شبهة بعد الأخرى فينجلي الحق ، وينبلج الصبح لذي عينين ، وذلك على النحو التالي :

---

[1] – صحيفة المدينة السعودية بتاريخ ٢٠١٠/٣/٢م– و ٣/٩ /٢٠١٠م

[2] – ص ١١٥ – ١١٦ ط/ مكتبة مدبولي بالقاهرة ط / أولى ٢٠٠٣م .

[3] – ص ٣٠ وما بعدها والرسالة بجامعة أم القرى –كلية الشريعة – الدراسات العليا الشرعية ١٤٠٢هـ–

[4] إسلام بحيري : صحفي شاب حاصل على الماجستير من بريطانيا في تجديد مناهج الفكر الإسلامي ، ويعمل رئيس مركز الدراسات الإسلامية بجريدة اليوم السابع الالكترونية www.facebook.com

[5] – جريدة اليوم السابع الخميس ٢٠٠٨/١٠/١٦م

الشبهة الأولى : قول السيدة عائشة " لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين "

من الشبهات التي يستند إليها هؤلاء الرافضون لرواية الصحيحين ما أخرجه البخاري نفسه في باب (جوار أبي بكر في عهد النبي) أن السيدة عائشة قالت : « لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله طرفي النهار بكرة وعشية ، فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا قِبَلَ الحبشة ....الحديث »([1])

واستدلالهم على هذا النحو : السيدة عائشة تقول : إنها لم تعقل أبويها إلا وهما يدينان الدين ، وذلك قبل هجرة الحبشة كما ذكَرَت ، وتقول إن النبي ﷺ كان يأتي بيتهم كل يوم ، وهو ما يبين أنها كانت عاقلة لهذه الزيارات ، والمؤكد أن هجرة الحبشة – إجماعا بين كتب التاريخ – كانت في العام الخامس من بدء البعثة النبوية فلو صدقنا رواية الإمام البخاري أن عائشة ولدت في العام الرابع من بدء الدعوة ، فهذا يعني أنها كانت رضيعة عند هجرة الحبشة ، فكيف يتفق ذلك مع جملة (لم أعقل أبوي) ، وكلمة أعقل لا تحتاج توضيحا .

والرد على هذه الشبهة على هذا النحو :

١- الهجرة إلى الحبشة حدثت مرتين –كما هو معلوم من كتب السيرة – المرة الأولى في بداية السنة الخامسة من البعثة عند اشتداد الإيذاء على النبي ﷺ والصحابة في مكة ، ثم عاد المهاجرون الأوائل – وكان عددهم قليلاً – إلى مكة بعد إسلام حمزة وعمر – رضي الله عنهما – ، فلما أعلنت قريش مقاطعة النبي ﷺ وبني هاشم ومن آمن ، ودخلوا جميعا في شعب أبي طالب خرج الصحابة مرة ثانية إلى الحبشة، وذلك ما بين العام السادس والتاسع من البعثة ، وعددهم اثنان وثمانون رجلا وثماني عشرة امرأة ، وهذه الهجرة الثانية للحبشة .([2])

والسؤال هنا متى خرج أبو بكر مهاجراً إلى الحبشة ؟

والإجابة على ذلك من خلال كتب السيرة أنه خرج بعد الهجرة الثانية في أواخر السنوات الثلاث للمقاطعة الظالمة من قريش للنبي ﷺ والمؤمنين وبني هاشم ، أي في أواخر السنة الثامنة وأوائل السنة التاسعة .

والدليل على ذلك : أن ابن إسحاق في السيرة ذكر عقب خروج أبي بكر وفاة أبي طالب ، ووفاة أبي طالب كانت في السنة التاسعة من البعثة المعروفة بعام الحزن عند كتاب السيرة والتاريخ .([3])

وذكر السهيلي والشامي خبر نقض صحيفة المقاطعة عقب خروج أبي بكر ، ونقض الصحيفة كان في العام التاسع من البعثة ([4])، وهو يؤيد ما ذكرناه .

وجزم بهذا صاحب السيرة الحلبية فقال : (ومما أوذى به أبو بكر الصديق ﷺ ما روى عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : لما ابتلى المسلمون بأذى المشركين أي وحصروا بني هاشم والمطلب في شعب أبي طالب ، وأذن ﷺ لأصحابه في الهجرة إلى الحبشة ، وهي الهجرة الثانية خرج أبو بكر ﷺ مهاجرا نحو أرض الحبشة .)([1])

---

[1] – صحيح البخاري ك/ الكفالة ب/ جوار أبي بكر في عهد النبي ﷺ وعقده ٣ / ٩٦ ح / ٢٢٩٧ .

[2] انظر / الروض الأنف للسهيلي ٢٢٨/٣ ط/ دار الفكر بيروت ١٩٨٩م وطبقات ابن سعد ١ /٢٠٧ ط/ دار صادر بيروت د.ت .

[3] – سيرة ابن هشام ٢ /٢١٩ ط/ دار الجيل بيروت ١٤١١هـ

[4] – الروض الأنف للسهيلي ٢ /١٥٨ – السيرة الشامية ٤١٣/٢ ط/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٩٩٧م .

وقال الإمام ابن كثير عن زمن خروج أبي بكر : (كل هذه القصص ذكرها ابن إسحق معترضا بها بين تعاقد قريش على بنى هاشم وبنى المطلب ، وكتابتهم عليهم الصحيفة الظالمة ، وحصرهم إياهم في الشعب ، وبين نقض الصحيفة وما كان من أمرها، وهى أمور مناسبة لهذا الوقت ، ..)([2])

نستنتج من هذا أن معظم كتب السيرة تؤكد خروج أبي بكر بعد الهجرة الثانية إلى الحبشة ، وفي أواخر سنين المقاطعة الظالمة أي في السنة الثامنة أو التاسعة ، ومن ثم تكون السيدة عائشة في ذلك الوقت في الرابعة أو الخامسة من عمرها ، وهذا يتناسب تماماً مع حديثها في صحيح البخاري وقولها " لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين " ، ويتناسب مع كونها متذكرة للزيارات التي كانت يأتي فيها رسول الله ﷺ إلى بيتهم غدوة وعشياً ، خاصة إذا علمنا أنها تفوق أقرانها في حدة الذكاء ، وقوة الذاكرة ، وصفاء الذهن .

٢- قول السيدة عائشة " لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين " يؤيد أنها ولدت بعد البعثة وليس قبلها ، لأن معناها أنها فتحت عينيها على الحياة فوجدت أبويها مسلمين ، أما كونها ولدت قبل البعثة بأربع سنوات –كما يزعم هؤلاء – فهذا يتنافى مع هذه الجملة لأن معنى ذلك أنها أدركتهما على الشرك .

٣- رواية السيدة عائشة لحديث خروج أبي بكر مهاجراً نحو الحبشة ، وأمثاله من الأحاديث كحديث الهجرة وحديث بدء الوحي مما يسميه علماء الحديث (مرسل الصحابي) أي مما سمعته من أبيها أو أمها أو أحد من الصحابة فروته عنهم ، وكون هذا الصحابي الذي روت عنه غير معلوم لا يضر ؛ لأن الصحابة كلهم عدول في النقل عن رسول الله ﷺ كما هو مقطوع به في القرآن والسنة .

يقول ابن الصلاح في مقدمته : ثم إنا لم نعد في أنواع المرسل ونحوه ما يسمى في أصول الفقه : مرسل الصحابي مثل ما يرويه (ابن عباس) وغيره من أحاديث الصحابة عن رسول الله ﷺ ، ولم يسمعوه منه ؛ لأن ذلك في حكم الموصول المسند لأن روايتهم عن الصحابة ، والجهالة بالصحابي غير قادحة ؛ لأن الصحابة كلهم عدول."([3])

الشبهة الثانية : كنت جارية ألعب عند نزول سورة القمر .

يحاول هؤلاء أن ينقضوا رواية الصحيحين بما أخرجه البخاري – أيضاً- في (باب - قوله: بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) عن (عائشة) قالت: «لقد أنزل على محمد بمكة ، وإني جارية ألعب [بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ]»([4]) ويقولون : " المعلوم بلا خلاف أن سورة (القمر) نزلت بعد أربع سنوات من بدء الوحي ، فلو صدقنا رواية البخاري تكون (عائشة) إما أنها لم تولد أو أنها رضيعة حديثة الولادة عند نزول السورة ، ولكن (عائشة) تقول (كنت جارية ألعب) أي أنها طفلة تلعب ، فكيف تكون لم تولد بعد ؟

---

[1] - السيرة الحلبية ٤٨٤/١ ط/ دار المعرفة بيروت ١٤٠٠هـ

[2] - السيرة النبوية ٢/ ٦٦ – ٦٧

[3] - مقدمة ابن الصلاح - (١ / ٣١) ط / مكتبة الفارابي الطبعة : الأولى ١٩٨٤ م

[4] - صحيح البخاري ك/ التفسير ب/ بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ٦ / ١٤٤ ح/ ٤٨٧٦ .

الرد على هذه الشبهة :

بُنيت هذا الشبهة على أن نزول سورة القمر كان في العام الرابع من البعثة ، وأوهم مدعيها القارئ بأن هذا الأمر من الأمور المسلمة الذي ليس فيها خلاف ، ولا أدري من أين أتى هؤلاء بهذا المعلوم الذي ليس فيه خلاف ! ، ولكي تقف – أخي القارئ – على افترائهم في هذا أقول لك الآتي :

١ – عند الرجوع إلى كتب التفسير وأسباب النزول نرى أن جمهور المفسرين مجمعون على نزول سورة القمر بأكملها([١]) بمكة دون تحديد لأي عام نزلت فيه خلال الفترة المكية .

قال صاحب الدر المنثور : " مكية وآياتها خمس وخمسون . أخرج النحاس عن ابن عباس قال : نزلت سورة القمر بمكة . وأخرج ابن الضريس وابن مردوية والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال : نزلت بمكة سورة اقتربت الساعة . وأخرج ابن مردوية عن ابن الزبير مثله ."([٢])

١- ذكر المفسرون بعض روايات في سبب نزول سورة القمر تشير إلى أن هذه المعجزة كانت قبيل الهجرة من هذه الروايات ما ذكره الإمام مجاهد عن أبي معمر عن أبي مسعود قال : رأيت القمر منشقاً شقتين بمكة قبل مخرج النبي ﷺ إلى المدينة ، شقة على أبي قبيس ، وشقة على السويداء فقالوا : سحر القمر ، فنزلت(اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَ الْقَمَرُ) [٣].

وما رواه الإمام الطبري – بسنده – عن عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: { اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ . وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ } قال: قد مضى ذلك،كان قبل الهجرة، انشق القمر حتى رأوا شقيه. وروى العَوْفي، عن ابن عباس نحو هذا."([٤])

٢- قطع الشيخ / سيد طنطاوي – رحمه الله - في تفسيره بأن نزول سورة القمر كان قبل الهجرة بخمس سنين أي في العام الثامن من البعثة .

فقال : " وكان ذلك بمكة قبل هجرته ﷺ بنحو خمس سنين ، وقد رأى هذا الانشقاق كثير من الناس . "([٥])

وهذا يؤيد رواية السيدة عائشة في صحيح البخاري أنها كانت جارية تلعب عند نزول السورة ؛ لأن عمرها سيكون حينئذٍ أربع سنوات .

[١] – شذ عن هذا الإجماع مقاتل بن سليمان وتبعه الزمخشري حيث استثنيا منها الآية رقم (٤٥) في رواية ، وفي رواية ثلاث آيات (٤٤- ٤٥ – ٤٦) فقالا : نزلت يوم بدر ، والصحيح رأي الجمهور لأن الرسول ﷺ أعاد قراءتها يوم بدر { انظر التحرير والتنوير ٢٧ /١٦٥ ط / دار سحنون للنشر والتوزيع تونس ١٩٩٧ م – الكشاف للزمخشري ٦٥١/٥ ط / مكتبة العبيكان ط أولى ١٩٩٨م

[٢] الدر المنثور للإمام السيوطي ٦٦٩/٧ ط/ مركز هجر للبحوث والدراسات العربية و الإسلامية ط/ أولى ٢٠٠٣م .

[٣] – تفسير الماوردي ٤٠٩/٥ ط/ دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان بدون تاريخ

[٤] – تفسير الطبري ٢٢ / ٥٦٩ ط/ مؤسسة الرسالة ط : الأولى ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م

[٥] – التفسير الوسيط ١/ ٤٠١٩ط/ دار المعارف بالقاهرة .

٣- عند الرجوع إلى كتب السيرة التي روت معجزة انشقاق القمر لا نرى إجماعاً بينها على زمن هذه المعجزة العظيمة في المرحلة المكية للدعوة ، فالإمام ابن كثير في سيرته يجعلها بعد معجزة الإسراء والمعراج أي في العام التاسع من البعثة بعد خروج النبي ﷺ من شعب أبي طالب بعد انتهاء المقاطعة الظالمة.(١) . وهذا يؤكد ما ذكرته السيدة عائشة في رواية الإمام البخاري أنها كانت جارية تلعب عند نزول السورة ؛ لأنها ستكون في الخامسة من عمرها .

من خلال هذه الأدلة يتأكد أن نزول سورة القمر لم يجمع العلماء على كونه في العام الرابع من البعثة؛ بل قصارى القول أن بعض كتب السيرة قد ذكرت ذلك قبل الهجرة إلى الحبشة ، وخالفتها بعض الكتب الأخرى كسيرة ابن كثير ، وهو ما أميل إليه لأن القرآن الكريم ذكر تعنت الكافرين وطلبهم الآيات في أواخر سورة الإسراء :

قال – تعالى – : " وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعاً أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَراً رَّسُولاً [الإسراء : ٩٠-٩٣] وهو ما يشير إلى أن معجزة انشقاق القمر كانت بعد رحلة الإسراء والمعراج .

ومن ثم تتوافق روايات الصحيحين بعضها مع بعض ؛ لأن السيدة عائشة كانت في الرابعة أو الخامسة من عمرها وهي جارية تلعب عند نزول سورة القمر في العام الثامن أو التاسع من البعثة ، وتكون عندما عقد النبي عليها في العام العاشر أو الحادي عشر من البعثة قد جاوزت السادسة ودخلت في السابعة من عمرها ، ويكون الرسول ﷺ قد بنى بها في العام الأول من الهجرة وهي قد جاوزت التاسعة بقليل .

الشبهة الثالثة : اشتراك السيدة عائشة في غزوة أحد .

من الشبهات التي يثيرها هؤلاء الرافضون لرواية الصحيحين في سن السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ﷺ ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من اشتراك السيدة عائشة في غزوة أحد

عن أنس ﷺ قال : " لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ قال : ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما تنقزان القرب ، وقال غيره تنقلان القرب على متونهما ، ثم تفرغانه في أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنها ، ثم تجيئان فتفرغانها في أفواه القوم. "(٢)

في حين أن النبي ﷺ -كما ذكر البخاري ومسلم أيضاً - رد من الصحابة من كان في مثل سنها ، أو أكبر منها مثل عبد الله بن عمر ورافع بن خديج وغيرهما من صغار الصحابة .

عن نافع عن ابن عمر قال " عرضني رسول الله ﷺ يوم أحد في القتال ، وأنا بن أربع عشرة سنة ، فلم يجزني وعرضني يوم الخندق وأنا بن خمس عشرة سنة فأجازني . "(٣)

---

١ - السيرة النبوية ٢ /١١٣ مرجع سابق .

٢ -- صحيح البخاري (٤ / ٣٣) – وهذا لفظه – صحيح مسلم ٣/ ١٤٤٣

٣ - صحيح مسلم ٣ / ١٤٩٠ح /١٨٦٨- صحيح اليخاري ٣ / ١٧٧ ح / ٢٦٦٤ .

وقالوا : هذا دليل على كونها عند عزوة أحد في الخامسة عشرة من عمرها ، وغزوة أحد كانت في العام الثالث للهجرة أي بعد دخول النبي ﷺ بها بعامين . ومن ثم تكون عند زواجها بالنبي ﷺ في العام الثالث عشر من عمرها ، وليس العام التاسع أو العاشر كما في الصحيحين .

ويأتي الرد على هذه الشبهة من خلال ما يلي :

١- لم يكن اشتراك السيدة عائشة في غزوة أحد من أجل أن تقاتل مع المقاتلة ، وإنما خرجت مع النبي ﷺ من أجل سقيا الماء للجيش ، -كما في الحديث الأول الذي استدل به هؤلاء- ، وقد رد النبي ﷺ من رد من صغار الصحابة من أجل اشتراكهم في القتال ، كما هو واضح من حديث ابن عمر السابق :(عرضني رسول الله ﷺ يوم أحد في القتال) ، فالعبرة ليست فقط بالبلوغ عند الإجازة والرد في المعركة ، وإنما بالعمل المكلف به من يخرج ، ومما يؤكد ذلك: إذن النبي ﷺ لبعض الصغار في الخروج للغزوات من أجل أعمال مساندة للقتال كإذنه لحارثة بن سراقة – وكان غلاماً صغيراً-بالخروج يوم بدر لأجل النظارة (١) .

٢- إن رد النبي ﷺ لعبد الله بن عمر وأمثاله عن غزوة أحد من أجل كونهم لم يبلغوا الحلم بعد ، وليس من أجل السن بدليل قول عبد الله بن عمر في رواية " ولم يرني بلغت "(٢) . أما السيدة عائشة فقد كانت بالغة عند زواجها بالنبي ﷺ -كما أكدت ذلك بالبراهين الكثيرة في المبحث السابق - ، ومن ثم خرجت بعد زواجها بسنتين في هذه الغزوة كما خرجت غيرها من النساء البالغات.

الشبهة الرابعة : رواية السيدة عائشة أحاديث لم تعاصرها .

يدعي هؤلاء المشككون في رواية الصحيحين : " أن هناك تناقضاً بين هذه الرواية وبين رواية السيدة عائشة لأحاديث كثيرة في الصحيحين لم تعاصرها . بل لم تكن موجودة على ظهر الأرض حين حدوثها كروايتها حديث صعود النبي ﷺ على جبل الصفا ودعوته المشركين للإسلام في بداية الدعوة الجهرية ، وحديث بدء نزول الوحي على النبي ﷺ في غار حراء ... وغيرها من الأحاديث ."

والرد على هذه الشبهة سهل ميسور وذلك من خلال الآتي :

١- إن هذا النوع من الأحاديث التي يستشهدون بها على أن السيدة عائشة ولدت قبل البعثة هو مما يسميه العلماء بمرسل الصحابي ، ومعناه : أن يروي الصحابي عن صحابي آخر حديثاً دون أن يذكر الصحابي الذي روى عنه .

وعن معناه وحكمه يقول الإمام النووي : " وأما مرسل الصحابي : وهو روايته ما لم يدركه ، أو يحضره كقول عائشة -رضي الله عنها- : أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة . فمذهب الشافعي والجماهير : أنه

---

١ - صحيح البخاري ٢٠/٤ ح /٢٨٠٩ .

٢ - صحيح ابن حبان ج١١ ص ٣٠ -٣١ ح/ ٤٧٢٨ وقال المحقق : إسناده صحيح على شرط الشيخين ط / مؤسسة الرسالة – بيروت ط /ثانية ١٩٩٣تحقيق : شعيب الأرنؤوط

يحتج به . وقال الأستاذ الإمام أبو إسحاق الاسفرايني الشافعي : لا يحتج به إلا أن يقول انه لا يروى إلا عن صحابي . والصواب الاول ."([1])

قال الحافظ أبو علي الغساني : " ليس يعد مرسل الصحابي مرسلا (أي : لا يأخذ حكم المرسل) ، فقد كان يأخذ بعضهم عن بعض ، ويروي بعضهم عن بعض ، وقال كان لعمر بن الخطاب جار من الأنصار يتناوب معه النزول إلى رسول الله ﷺ ينزل هو يوما والآخر يوما قال : فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره ، وقال البراء " ما كل ما نحدثكم به عن رسول الله ﷺ سمعناه من رسول الله ﷺ ، ولكن سمعناه وحدثنا أصحابنا وكنا لا نكذب "([2])

٢- إن السيدة عائشة ليست وحدها التي روت مثل هذه الأحاديث عن الصحابة ، ورفعتها للنبي ﷺ دون ذكر من روت عنه فهناك عبد الله بن عباس رضي الله عنه وقد كان صغيرا حين وفاة النبي ﷺ ، ومع ذلك روى أحاديث كثيرة لم يدركها ، وأيضاً أبو هريرة رضي الله عنه وقد أسلم في فتح خيبر في العام السابع من الهجرة وروى أحاديث كثيرة من هذا النوع ، وكذلك أنس بن مالك وعبد الله بن عمر وغيرهما من صغار الصحابة .

الشبهة الخامسة : إذن البكر ، وكيف يخالف قوله فعله ؟

قال المدعون برد رواية الصحيحين في معرض شبهاتهم التي يستندون إليها : " أخرج البخاري : في كتاب النكاح باب/ لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها) قال رسول الله ﷺ : «لا تنكح البكر حتى تستأذن ، قالوا يا رسول الله : وكيف إذنها ؟ قال: أن تسكت» فكيف يقول الرسول الكريم هذا ويفعل عكسه ؟.

فالحديث الذي أورده البخاري عن سن أم المؤمنين عند زواجها ينسب إليها أنها قالت كنت ألعب بالبنات (بالعرائس) ، ولم يسألها أحد عن إذنها في الزواج من النبي ﷺ ؟، وكيف يسألها وهي طفلة صغيرة جداً لا تعي معنى الزواج ، وحتى موافقتها في هذه السن لا تنتج أثرا شرعيا لأنها موافقة من غير مكلف.

ثم يشنع بعضهم على استنباط الفقهاء من زواج النبي ﷺ بالسيدة عائشة — رضي الله عنها — الحكم بجواز تزويج الأب لابنته الصغيرة قبل البلوغ فيقولون : " أما ابتناء الفقهاء والمحدثين – وأولهم البخاري – على هذا الحديث (أي على حديث زواج النبي بالسيدة عائشة) أوهاما من الأحكام عن جواز تزويج الصغيرات ، فهذه صفحة سوداء من صفحات التراث . "([3])

ومن يقول بهذا لا يطعن في الصحيحين فقط . بل يطعن في جميع الفقهاء والمحدثين على مر العصور ، وهذا مما يدفعنا لأن نطيل معهم قليلا في دحض هذه الشبهة على النحو التالي :

الرد على هذه الشبهة :

لم يخالف قول النبي ﷺ فعله كما يدعي هؤلاء المدعون وذلك لعدة أمور :

---

[1] – شرح النووي على مسلم – (١ / ٣٠) ط/ دار إحياء التراث العربي — بيروت ط/ الثانية ، ١٣٩٢هـ

[2] – النكت على مقدمة ابن الصلاح – الزركشي – (١ / ٥٠٣) ط/ أضواء السلف بالرياض ط/ الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م

[3] – هذا كلام الصحفي / إسلام بحيري في جريدة اليوم السابع الخميس ٢٠٠٨/١٠/١٦م

١- البكر التي تستأذن في الحديث المذكور هي البكر البالغة ، إذ لا معنى لاستئذان من لا تدري ما الإذن ، ومن يستوي سكوتها وسخطها ، وهي الصغيرة –كما ذكر الإمام ابن حجر-([1])

قال أبو قرة سألت مالكا عن قوله ﷺ (والبكر تستأذن في نفسها) أيصيب هذا القول الأب ؟ قال : لا لم يعن الأب بهذا إنما عنى به غير الأب ، قال ونكاح الأب جائز على الصغار من ولده ذكرا كان أو أنثى ، ولا خيار لواحد منهم قبل البلوغ . قال ولا ينكح الصغيرة أحد من الأولياء غير الأب .([2])

وقال الإمام ابن حزم لبيان اتفاق قول النبي ﷺ مع فعله :

" فإن قال قائل: فإن هذا فعل منه ﷺ وليس قولا ، فمن أين خصصتم البكر دون الثيب ، والصغيرة دون الكبيرة، وليس هذا من أصولكم قلنا : نعم، إنما اقتصرنا على الصغيرة البكر للخبر الذي رويناه من طريق مسلم ، عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال : " الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر يستأذنها أبوها في نفسها وإذنها صماتها " . فخرجت الثيب صغيرة كانت أو كبيرة بعموم هذا الخبر ، وخرجت البكر البالغ به أيضا ، لأن الاستئذان لا يكون إلا للبالغ العاقل للأثر الثابت ، عن النبي ﷺ : " رفع القلم، عن ثلاث : فذكر فيهم الصغير حتى يبلغ " ، فخرج البكر التي لا أب لها بالنص المذكور أيضا ، فلم تبق إلا الصغيرة البكر ذات الأب فقط ."([3])

٢- ذكر الإمام البخاري قبل هذا الباب ببابين : " باب إنكاح الرجل ولده الصغار " ليدل على أن الصغير والصغيرة بالنسبة للأب لهما حكم خاص ، وهو جواز أن يزوجهما قبل البلوغ ، وذلك لما للأب من شفقة ظاهرة على أولاده دون غيره من الأولياء .

٣- إن هذا الحكم لم يستنبطه الفقهاء والمحدثون من رواية الصحيحين لزواج النبي ﷺ بالسيدة عائشة فقط ، وإنما استنبطوه – أيضاً – من عموم قوله تعالى في القرآن الكريم : " وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ .....[الطلاق : ٤] ، ولذا صدر الإمام البخاري الباب السابق في صحيحه بالآية الكريمة فقال : إنكاح الرجل ولده الصغار لقوله : (وَاللائِى لَمْ يَحِضْنَ) [الطلاق : ٤] ، فَجَعَلَ عِدَّتَهَا ثَلاثَةَ أَشْهُرٍ قَبْلَ الْبُلُوغِ.

وعلق المهلب على ترجمة البخاري قائلاً : أجمع العلماء على أنه يجوز للأب تزويج ابنته الصغيرة التى لا يوطأ مثلها لعموم الآية : (واللائى لم يحضن)[الطلاق٤].([4])

٤- إن الحكم بجواز أن يزوج الأب ابنته الصغيرة قبل البلوغ مما أجمع عليه العلماء ، وقد نقل الإجماع على ذلك عدد كبير من أهل العلم حتى قال الإمام النووي " هو مما أجمع عليه المسلمون "([1])

---

[1] فتح الباري ٩ /١٩٣ ط/ دار المعرفة - بيروت ١٣٧٩ هـ

[2] – الاستذكار ٥/٤٠٠-٤٠١ ط/ دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

[3] – المحلى ٩ / ٤٦٠ ط/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بدون تاريخ.

[4] شرح ابن بطال ٢٤٧/٧ ط/ مكتبة الرشد - السعودية / الرياض - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م الطبعة : الثانية

٥- أن تزويج الآباء لبناتهم الصغيرات يعود إلى حكمة جليلة وهي : " أن الكفء عزيز وجوده ، وقد يكون هناك حاجة ماسة للصغيرة تقتضي تزويجها في وقت من الأوقات ، كأن تكون في زمان أو مكان كثرت فيه الفتن ، أو يكون والدها فقيرا معدما ، أو عاجزا عن الكسب ، أو عن رعاية أسرته لأي سبب من الأسباب ، فتحتاج الصغيرة إلى من يحفظها ويصونها وينفق عليها ، أو لدى أبيها مال كثير وقد نزل به مرض الموت فيريد أن يحفظ ابنته ، ويحفظ مالها بأن يختار لها الكفء التقي .

ولذلك فإنه من المصلحة للصغيرة أن يعطى من لديه الحرص على مصلحتها والشفقة عليها كأبيها الحق في تزويجها من يرى أن مصلحتها في الزواج منه ، وعدم تضييع وتفويت الكفء الذي لا يوجد في كل وقت ، والذي يحصل لها غالبا بزواجها منه مصالح كثيرة في حاضرها ومستقبلها في دينها ومعيشتها وغير ذلك .

ومن ثم فإنه يجب على الأب أن يتقي الله ﷻ ، وأن يقوم بهذه الأمانة التي حمله الله إياها خير قيام ، وأن يكون هدفه عند تزويج ابنته الصغيرة مراعاة مصالحها هي ، وليست مصلحته هو لتتحقق هذه المصالح الكثيرة . "[٢]

٦- إن ما يثيره البعض حول هذا الحكم من كيفية زواج الصغيرة والدخول بها ؟ يعود إلى الجهل بالأحكام الشرعية ؛ فالعلماء لم يجيزوا الدخول بالصغيرة حال صغرها ، بل اشترطوا أن تصل إلى حد تطيق فيه النكاح ، واستدلوا على هذا ببناء النبي ﷺ بالسيدة عائشة بعد ثلاث سنوات من العقد عليها

قال ابن بطال – رحمه الله – : " إلا أنه لا يجوز لأزواجهن البناء بهن إلا إذا صلحن للوطء واحتملن الرجال ، وأحوالهن تختلف فى ذلك على قدر خلقهن وطاقتهن ، وكانت عائشة حين تزوج بها النبى ﷺ بنت ست سنين ، وبنى بها بنت تسع . "[٣]

وقد جعل الإمام أحمد – رحمه الله – حد الدخول بالصغيرة تسع سنين ، والصحيح ما عليه الجمهور أن ذلك يختلف باختلاف أحوالهن .

قال النووي – رحمه الله – " وأما وقت زفاف الصغيرة المزوجة والدخول بها فإن اتفق الزوج والولي على شيء لا ضرر فيه على الصغيرة عمل به ، وإن اختلفا فقال أحمد وأبو عبيد تجبر على ذلك بنت تسع سنين دون غيرها. وقال مالك والشافعي وأبو حنيفة حد ذلك أن تطيق الجماع ويختلف ذلك باختلافهن ولا يضبط بسن . وهذا هو الصحيح وليس في حديث عائشة تحديد ، ولا المنع من ذلك فيمن أطاقته قبل تسع ، ولا الإذن فيمن لم تطقه ، وقد بلغت تسعا قال الداودي : وكانت عائشة قد شبت شبابا حسنا رضى الله عنها . "[٤]

---

[١] – حكى إجماع العلماء ابن المنذر في الإجماع ص ١٠٣ ط / مكتبة الفرقان بعجمان ط/ أولى ١٩٩٩م ، والنووي في شرح صحيح مسلم ٩ \ ٢٠٦ ، والحافظ ابن حجر في فتح الباري ١٢ \ ٣١٩ وغيرهم الكثير والكثير .

[٢] – ولاية تزويج الصغيرة د / عبد الله بن عبد العزيز الجبرين ٢٥٨/٣٣ بحث منشور ضمن مجلة البحوث الإسلامية الصادرة عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالسعودية

[٣] – شرح ابن بطال ١٧٢/٧- ١٧٣ مرجع سابق .

[٤] – شرح النووي على مسلم ٩ / ٢٠٦ مرجع سابق .

٧- إن إساءة بعض ضعاف النفوس من الآباء استعمال هذا الحق في حق بناتهن لايدعونا إلى رد الأحاديث الصحيحة الثابتة ، فإذا انتشرت ظاهرة تزويج الآباء بناتهن قبل البلوغ من غير الكفء النادر في بلدٍ ما كان من حق ولي الأمر في هذه البلاد أن يتدخل لتقييد هذا المباح بوضع سن محددة لتزويج البنات . وهذا علاج ناجع لهذه الظاهرة بدلاً من الطعن في الأحاديث الصحيحة .

الشبهة السادسة : عرض السيدة خولة بنت حكيم السيدة عائشة ليتزوجها رسول الله ﷺ .

مما استدل به الأستاذ/ العقاد — رحمه الله — على رفع سن السيدة عائشة ، ونقلها عنه من بعده أن خولة بنت حكيم — رضي الله عنها – عرضت البكر والثيب – المتزوجة سابقا – على النبي ﷺ فهل كانت تعرضهن على سبيل جاهزيتهن للزواج ، أم على أن إحداهما طفلة يجب أن ينتظر النبي ﷺ بلوغها النكاح .

المؤكد من سياق الحديث أنها تعرضها للزواج الحالي بدليل قولها : (إن شئت بكرا وإن شئت ثيبا) ، ولذلك لا يعقل أن تكون عائشة في ذاك الوقت طفلة في السادسة من عمرها ، وتعرضها (خولة) للزواج بقولها (بكرا).[1]

والرد على هذه الشبهة من عدة وجوه :

(أولها : أن أم المؤمنين لو كان قد اكتمل بلوغها بالفعل لما كان هناك داع إلى تأجيل البناء بها إلى السنة الأولى من الهجرة ، بل لتم الأمر في حينه في مكة كما حدث مع أم المؤمنين سودة ، إذ لا يوجد مانع من ذلك سوى حداثة سنها .

الوجه الثاني : أنه لا يلزم من وجود الخطبة أو العقد أن يتم البناء على الفور ٠ وهذا من الأمور المتعارف عليها في القديم والحديث، ومن شواهد ذلك : خطبة مطعم بن عدي لها لابنه جبير٠إذ إنه لم يتم في أمرها سوى العِدَة .

الوجه الثالث : الذي يبدو من محاورة خولة لرسول الله ﷺ أنها أرادت أن تجد مدخلا إلى نفس النبي ﷺ للتحدث معه في هذا الشأن الخاص حين هابه الرجال ... فلا مسوغ أن تحمل كلماتها معان لم تقصدها ، وإذا كان ولابد من ذكر هذا الخاطر والتعويل عليه بأنه هو الدافع الأساسي ، فقد رشحت خولة — رضي الله عنها — سودة بنت زمعة ، وهي الثيب المجربة الخبيرة بشئون بيت الزوجية لتقوم برعاية بناته ﷺ ، ولم تكتف باقتراح عائشة فحسب حتى يقال : لولا أنها في سن الخطبة والزواج لما ذكرتها .)[2]

الوجه الرابع : سبق أن ذكرت في المبحث السابق في الحجج الطبية أن هناك فرقاً بين بداية البلوغ وظهور علاماته الأولى ، وبين اكتمال البلوغ عند المرأة بنزول دم الحيض عليها ، فلعل السيدة خولة رأت عند السيدة عائشة علامات البلوغ المبكرة فرشحتها للزواج من النبي ﷺ ، وانتظر النبي ﷺ هذه السنوات الثلاث لكي يكتمل بلوغها تماماً .

[1] – الصديقة بنت الصديق ص ٤٨ — ٤٩ .

[2]– أم المؤمنين السيدة عائشة ومروياتها في التفسير ص ٢٩ — ٣٠ بتصرف رسالة ماجستير للباحث / محمود سليمان علي – بقسم الكتاب والسنة —كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القري سنة ١٤١٠هـ

الشبهة السابعة : خطبة جبير بن مطعم للسيدة عائشة قبل الإسلام .

ذكر الأستاذ / العقاد – أيضاً – في أدلته على عدم ترجيح رواية الصحيحين في تقدير سن السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ﷺ مسألة خطبتها لجبير بن مطعم ، واستند إلى ذلك من جاء من بعده فقالوا :

(إن السيدة عائشة كانت مخطوبة قبل خطبتها إلى النبي ، وأن خطبة النبي كانت في نحو السنة العاشرة للدعوة . فإما أن تكون قد خطبت لجبير بن مطعم لأنها بلغت سن الخطبة ، وهي قرابة التاسعة أو العاشرة ، وبعيد جداً أن تنعقد الخطبة على هذا التقدير مع افتراق الدين بين الأسرتين . وإما أن تكون قد وعدت لخطيبها وهي وليدة صغيرة كما يتفق _ أحيانا – بين الأسرتين المتآلفة – ، وحينئذ يكون أبو بكر مسلماً عند ذلك ، ويستبعد جدا أن يعد بها فتى على دين الجاهلية قبل أن تتفق الأسرتان على الإسلام ، فإذاً كان أبو بكر قد وعد بها هذا الموعد قبل إسلامه ، معنى ذلك أنها ولدت قبيل الدعوة ، وكانت تناهز العاشرة يوم جرى حديث زواجها وخطبها النبي ﷺ .)([1])

وللرد على هذا الشبهة أقول :

ينبي هذا الكلام على فرضية استحالة وجود مصاهرة بين المسلمين والمشركين في سنوات الدعوة الأولى حين كان المشركون يؤذون المسلمين الأوائل ، وهذه الفرضية ليست صحيحة ومن ثم يتهدم كل ما بني عليها ، والدليل على عدم صحتها ما يلي :

٤- تحريم المصاهرة بين المسلمين والمشركين لم يحرم إلا بعد الهجرة بسنوات عندما نزلت سورة الممتحنة .

يقول الإمام ابن العربي : " قوله " ولا تمسكوا بعصم الكوافر " قال أهل التفسير : أمر الله ﷻ من كان له زوجة مشركة أن يطلقها ، وقد كان الكفار يتزوجون المسلمات ، والمسلمون يتزوجون المشركات ، ثم نسخ الله ذلك في هذه الآية وغيرها .... فطلق عمر بن الخطاب ؓ حينئذ قريبة بنت أمية ، وابنة جرول الخزاعي .)([2])

فعمر بن الخطاب كان إلى وقت نزول الآية متزوجاً من امرأتين من المشركين ، وهو من هو في صلابته في الحق وشدته في تطبيق أحكام الإسلام .

قال الإمام ابن كثير في تفسير آية الممتحنة السابقة (هذه الآية التي حرمت المسلمات على المشركين ، وقد كان جائزاً في ابتداء الإسلام أن يتزوج المشرك المؤمنة .)([3])

٢ –كان أبو العاص بن الربيع متزوجا بالسيدة زينب بنت رسول الله ، وكان مشركاً ، وهاجرت السيدة زينب بعد بدر ، وأسلم العاص بعد ذلك ، ولم يفرق الرسول بينهما([4]) ، ولم يقل أحد كيف يصاهر الرسول المشركين في مكة .

---

[1] – الصديقة بنت الصديق ص ٤٨ – ٤٩ مرجع سابق.

[2] – أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ٢٣١ ط/ دار الكتب العلمية – بيروت . بدون تاريخ .

[3] تفسير ابن كثير ٨ / ٩٣ ط/ دار طيبة للنشر والتوزيع ط/ ثانية ١٩٩٩م .

[4] – زواج السيدة زينب – رضي الله عنها- بالعاص بن الربيع ثابت في الصحيحين ، وروى أبو داود في سننه بسنده أن رسول الله ﷺ ردها عليه بالنكاح الأول ج٢ ص٢٥٣ ح/ ٢٢٤٠ وقال الألباني : صحيح

بل كانت ابنتاه السيدة رقية وأم كلثوم قد عقد عليها ابنا أبي لهب عتبة وعتيبة لولا أن أباهما أبا لهب أمرهما بطلاقهما . فمن أين القول : إن المصاهرة في ذلك الوقت كانت غير جائزة أو غير معقولة بين المسلمين والمشركين .

من خلال هذين الدليلين يتبين أنه لا صحة البتة لنفي المصاهرة بين المسلمين والمشركين في سنوات الدعوة المكية ، ومن ثم لا دليل على كون السيدة عائشة ولدت قبل البعثة بسبب خطبتها لجبير بن مطعم . بل هذه الخطبة أحد الأدلة على كون السيدة عائشة كانت صالحة للخطبة قبل خطبة النبي ﷺ كما سبق أن ذكرت في المبحث السابق – .

الشبهة الثامنة : مقارنة سن السيدة عائشة بسن السيدة أسماء بنت أبي بكر– رضي الله عنهما –

يدعي هؤلاء لكي يضعفوا رواية الصحيحين : (أن كل المصادر التاريخية([1]) تقول إن (أسماء) كانت تكبر (عائشة) بعشر سنوات ، كما تروي ذات المصادر بلا اختلاف واحد بينها ، أن (أسماء) ولدت قبل الهجرة للمدينة بسبعة وعشرين عاما ، . إذن يتأكد بذلك أن سن (عائشة) كان أربع سنوات مع بدء البعثة النبوية في مكة ، ومؤدى ذلك أن الرسول عندما نكحها في مكة في العام العاشر من بدء البعثة النبوية كان عمرها أربع عشرة سنة ، وأنه بنى بها بعد ثلاث سنوات وبضعة أشهر ، أي في نهاية السنة الأولى من الهجرة وبداية الثانية ، فيصبح عمرها آنذاك ثمانية عشرة سنة كاملة . وهي السن الحقيقية التي تزوج فيها النبي الكريم (عائشة) .

الرد على هذه الشبهة :

تنبني هذا الشبهة على أصل واحد وهو : الفارق بين عمر السيدة عائشة والسيدة أسماء عشر سنين ، ثم يتفرع عنه بعد ذلك حساب تاريخ ميلاد السيدة أسماء قبل الهجرة بسبع وعشرين عاما ، ثم تاريخ وفاتها في سنة ثلاث وسبعين للهجرة ، ثم عقد المقارنة بين عمريهما بناء على القاعدة التي جعلوها من المسلمات التاريخية وهي العشر سنوات ينتج في النهاية أن عمر السيدة عائشة كان عند الزواج حوالي ثمانية عشر عاماً .

ومن ثم إذا انهدمت القاعدة التي بنو عليها ذلك انهدمت هذا الشبهة من أساسها ، وهاك ما يدل على أن هذا الفارق الزمني ليس من الأشياء المسلمة الثابتة كما يدعون :

أولاً : ذكر كثير من المؤرخين عند الترجمة للسيدة أسماء أنها كانت أسن من السيدة عائشة ، ولم يحددوا الفارق العمري بينهما من هؤلاء المؤرخين : (أبو نعيم في معرفة الصحابة – وابن عساكر في تاريخ دمشق – وابن الأثير في أسد الغابة) وهذه بعض النصوص الواردة في هذه الكتب:

قال أبو نعيم : (كانت أخت عائشة لأبيها ، وكانت أسن من عائشة .)[2]

وقال ابن عساكر : (كانت أخت عائشة لأبيها وكانت أسن من عائشة ولدت قبل التاريخ(أي قبل الهجرة) بسبع وعشرين سنة)[1]

---

[1] – هذه العبارة وأمثالها مما يفيد التعميم ليست من أسلوبي ، وإنما هو من أسلوب هؤلاء المشككين خاصة الصحفي / إسلام بحيري

[2] – معرفة الصحابة لأبي نعيم الاصبهاني ٣٩٨/٢٢ ط/ دار الوطن للنشر بالسعودية ط/ أولى ١٩٩٨م

وقال ابن الأثير : (وكانت أسن من عائشة وهي أختها لأبيها وكان عَبْد الله بن أبي بكر أخا أَسْمَاء شقيقها.)[2]

إذاً هذا الفارق لم يكن محل اتفاق بين المؤرخين –كما يدعون – .

ثانياً : رأي الإمام الذهبي في السير أن الفارق بين عمر السيدة أسماء والسيدة عائشة يصل إلى بضع عشرة سنة فقال عند الترجمة للسيدة أسماء " وكانت أسن من عائشة ببضع عشرة سنة. "([3]) ، والبضع –كما هو معلوم – في اللغة من ثلاث إلى تسع ، وبناء على رأي الإمام الذهبي تكون السيدة عائشة تجاوزت التاسعة عند بناء النبي ﷺ بها ويكون الفرق العمري بينها وبين السيدة أسماء حوالي ثماني عشرة سنة تقريباً ، وهو ما يتوافق مع الأحاديث الصحيحة

ثالثاً: معظم كتب التاريخ والتراجم التي ذكرت هذا الفارق الزمني بالتحديد(عشر سنوات) تستند إلى رواية واحدة ترجع إلى عبد الرحمن ابن أبي الزناد([4]) ، فماذا يقول علماء الحديث في عبد الرحمن من ناحية الجرح والتعديل :

يقول ابن أبي حاتم الرازي وابن حجر العسقلاني عنه : (قال ابن محرز عن يحيى بن معين ليس ممن يحتج به أصحاب الحديث ليس بشيء . وقال معاوية بن صالح وغيره وعن ابن معين ضعيف . وقال الدوري عن ابن معين لا يحتج بحديثه وهو دون الدراوردي . وقال صالح بن أحمد عن أبيه مضطرب الحديث. وقال محمد بن عثمان عن ابن المديني كان عند أصحابنا ضعيفا...وقال النسائي لا يحتج بحديثه .)([5])

فهذا رأي علماء الجرح والتعديل في ابن أبي الزناد فكيف نعتمد على تقديره في الفرق الزمني بين السيدة أسماء والسيدة عائشة ، وإنما ذكرت ذلك لأن هؤلاء الرافضين لرواية الصحيحين يتكلمون في هشام بن عروة في حين أنهم يبنون شبهة من أكبر شبهاتهم على رواية عبد الرحمن أبي الزناد على الرغم مما قاله علماء الجرح والتعديل فيه .!

رابعاً : لم يقطع عبد الرحمن بن أبي الزناد في كون الفارق العمري بين السيدة عائشة والسيدة أسماء عشر سنوات ، والدليل على ذلك ما رواه ابن عبد البر في الاستيعاب بسنده عنه قال : " حدثنا ابن أبي الزناد قال : قالت أسماء بنت أبي بكر وكانت أكبر من عائشة بعشر سنين أو نحوها . "([6])

فكلمة (أو نحوها) توضح أنه غير جازم في هذا التحديد ، وهذا يوهن متن الرواية بالإضافة إلى ضعف سندها لورودها عن عبد الرحمن بن أبي الزناد –كما سبق في النقطة السابقة –

خامساً: هناك اختلاف في تقدير سن السيدة أسماء عند وفاتها ، ولم تجمع جميع المصادر على كونها بلغت مائة سنة

---

[1] – تاريخ دمشق لابن عساكر ٦٩ / ٩ ط/ دار الفكر بيروت ١٩٩١م

[2]– أسد الغابة لابن الأثير ٣ / ٣٠٩ ط/ دار الفكر بيروت د.ت

[3] – سير أعلام النبلاء ٢ / ٢٨٨ ط / مؤسسة الرسالة بيروت –الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م

[4] – انظر الاستيعاب لابن عبد البر ١ /١٨٥ط/ دار الأعلام بالأردن ط/ أولى ٢٠٠٢م

[5] – تهذيب التهذيب لابن حجر ترجمة رقم ٣٥٦ ج ٦/١٥٦– ١٥٧– ط/ دار الفكر بيروت ط/ أولى ١٩٨٤م وكذا الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٥/ ٥٢٥ }ط/ دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ

[6] – الاستيعاب ١ / ١٨٥ مرجع سابق .

قال الذهبي : "قال ابن أبي الزناد: كانت أكبر من عائشة بعشر سنين. قلت (أي الإمام الذهبي): فعلى هذا يكون عمرها إحدى وتسعين سنة."[1]

وعلى تقدير الإمام الذهبي هذا، سينهدم الشق الثاني التي استندت إليه الشبهة ، وهو أن عمر السيدة أسماء حين الوفاة يصل إلى مائة سنة .

نخلص من هذا أن لدينا رأيين في الفارق بين عمري السيدة عائشة والسيدة أسماء – رضي الله عنهما –، وكلا الرأيين يؤيدان صحة رواية الصحيحين في كون السيدة عائشة كانت في التاسعة من عمرها عندما بنى بها النبي ﷺ ، ويتضح ذلك من خلال الجدولين الآتيين :

الرأي الأول : أنها كانت أسن من عائشة دون تحديد كما قال أبو نعيم– وابن عساكر – وابن الأثير ، أو بينهما بضع عشرة سنة كما قال الإمام الذهبي

الاسم	ولادتها	عند الهجرة	تاريخ وفاتها	عند الوفاة	الفارق بينهما
السيدة أسماء	قبل البعثة ب١٤ سنة	٢٧ سنة	٧٣هـ	١٠٠ سنة	١٨ سنة
السيدة عائشة	بعد البعثة ب٤ سنوات	٩ سنوات	٥٨هـ على خلاف	٦٧ سنة	

الرأي الثاني : أن بينهما عشر سنوات على فرض صحة رواية عبد الرحمن ابن أبي الزناد

الاسم	ولادتها	عند الهجرة	تاريخ وفاتها	عند الوفاة	الفارق بينهما
السيدة أسماء	قبل البعثة ب٦ سنوات	١٩ سنة	٧٣هـ	٩٢ سنة	١٠ سنوات
السيدة عائشة	بعد البعثة ب٤ سنوات	٩ سنوات	٥٨هـ على خلاف	٦٧ سنة	

الشبهة التاسعة : حساب عمر السيدة عائشة مقارنة بعمر السيدة فاطمة الزهراء – رضي الله عنهما –:

يقولون في تكذيب رواية الصحيحين : (يذكر ابن حجر فى (الإصابة) أن السيدة فاطمة بنت النبي ولدت عام بناء الكعبة، والنبي ﷺ في الخامسة والثلاثين من عمره ، وأنها أسن – أكبر – من عائشة بخمس سنوات، وعلى هذه الرواية نجد أن (ابن حجر) وهو شارح (البخارى) ، يكذب رواية (البخارى) ضمنيا ؛ لأنه إن كانت (فاطمة) ولدت

[1] – سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٨٠ مرجع سابق .

والنبي في عمر الخامسة والثلاثين ، فهذا يعني أن (عائشة) ولدت والنبي يبلغ الأربعين ، وهو بدء نزول الوحى عليه ، مما يعني أن عمر (عائشة) عند الهجرة كان يساوي عدد سنوات الدعوة الإسلامية في مكة وهي ثلاث عشرة سنة ، وليس تسع سنوات.)

وللرد على هذه الشبهة أقول :

١- من نقل عن الإمام ابن حجر هذه الرواية لم يكن أميناً في نقله ، وإنما أخذ منه ما يحلو له ، وسكت عن الباقي . على طريقة من قرأ " ولا تقربوا الصلاة " وسكت دون أن يكمل الآية ؛ لأنه يعلم علم اليقين أنه لو نقل النص حرفياً لبان خداعه للقارئ ، وإيهامه له بأن وقت ميلاد السيدة فاطمة ليس فيه سوى قول واحد ، مع أن ابن حجر في نفس النص ذكر عدة أقوال في ذلك ، ثم عقب عليها ، وهاك نص ابن حجر لنقف على حقيقة هؤلاء القوم ، وكيف يتعاملون مع النصوص :

يقول الإمام ابن حجر في الإصابة : (واختلف في سنة مولدها ، فروى الواقدي عن طريق أبي جعفر الباقر قال : قال العباس ولدت فاطمة والكعبة تبنى ، والنبي ﷺ ابن خمس وثلاثين سنة وبهذا جزم المدائني . ونقل أبو عمر عن عبيد الله بن محمد بن سليمان بن جعفر الهاشمي أنها ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد النبي ﷺ . وكان مولدها قبل البعثة بقليل نحو سنة أو أكثر ، وهي أسن من عائشة بنحو خمس سنين .)([1])

فقد ذكر ابن حجر في كلامه قولين للواقدي وأبي عمر ، ثم عقب عليهما برأيه : أنها ولدت قبل المبعث بقليل فكيف يدعون على ابن حجر أنه يكذب رواية الصحيحين ؟؟

٢- عند الرجوع إلى كتب التراجم للتحقق من وقت ميلاد السيدة فاطمة سنجد – على سبيل المثال – الإمام الذهبي في السير قال : " مولدها قبل المبعث بقليل "([2]) ، ولم يذكر ابن عبد البر في (الاستيعاب) سوى رواية أنها ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد النبي ﷺ ([3])

فهذه الروايات تؤكد رواية الصحيحين في سن السيدة عائشة حين زواجها من النبي ﷺ ؛ لأن السيدة فاطمة كانت أكبر منها بخمس سنوات ، وهي مولودة قبيل البعثة ، والسيدة عائشة ولدت بعد البعثة بأربع سنوات ، فتكون السيدة عائشة عند الهجرة تناهز التاسعة من عمرها .

الشبهة العاشرة : السيدة عائشة أسلمت قبل الجهر بالدعوة كما في رواية ابن كثير

ذكر ابن كثير في (البداية والنهاية) عن الذين سبقوا بإسلامهم : «ومن النساء : أسماء بنت أبى بكر وعائشة وهي صغيرة فكان إسلام هؤلاء في ثلاث سنين ورسول الله ﷺ يدعو في خفية ، ثم أمر الله ﷻ رسوله بإظهار الدعوة »([4])

---

[1] – الإصابة ٥٤/٨ ط/ دار الجيل – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢هـ بتحقيق : علي محمد البجاوي

[2] – سير أعلام النبلاء ٢ / ١١٩مرجع سابق .

[3] – الاستيعاب ٢ /١١٢ مرجع سابق .

[4] – البداية والنهاية ٣/ ٤٩ ط/ دار هجر للنشر والتوزيع بدون تاريخ .

قالوا : هذه الرواية تدل على أن السيدة عائشة قد أسلمت قبل أن يعلن الرسول الدعوة في عام الرابع من بدء البعثة النبوية ، ومعنى ذلك أنها آمنت على الأقل في العام الثالث ، فلو أن عائشة على حسب رواية (البخاري) ولدت في العام الرابع من بدء الوحى ، فمعنى ذلك أنها لم تكن على ظهر الأرض عند جهر النبي ﷺ بالدعوة في العام الرابع ، أو أنها كانت رضيعة ، فكيف تكون من الذين أسلموا في ذلك الوقت ؟ إن هذا يناقض رواية الصحيحين .

الرد على هذه الشبهة :

١- الرواية المنسوبة للإمام ابن كثير في البداية والنهاية نقلها عن الإمام محمد ابن إسحاق صاحب السيرة ونص كلام ابن إسحاق : (ثم أسلم ناس من قبائل العرب منهم: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، أخو بني عدي بن كعب، وامرأته فاطمة بنت الخطاب بن نفيل بن عبد العزى ، أخت عمر بن الخطاب ، وأسماء بنت أبي بكر ، وعائشة بنت أبي بكر وهي صغيرة)[1]

وعند الرجوع إلى سيرة ابن إسحاق نجد أن ابن إسحاق لم يذكر سنداً لهذا السرد عن أحد من الصحابة ، أو التابعين إنما أرسل الكلام من عنده ، ويكفي هذا لتضعيف الرواية المنسوبة لابن إسحاق .

٢- لعل ابن إسحاق أو أحد رواة السيرة عنه وهم فذكر اسم السيدة عائشة وهو يسرد أسماء من أسلم قديماً ، والدليل على ذلك ما ذكره صاحب السيرة الشامية تعقيباً على كلام ابن إسحاق السابق حين قال : (قال في الزهر والعيون والدرر: وهو وهم لم تكن عائشة ولدت بعد فكيف تسلم وكان مولدها سنة أربع من النبوة ؟)[2]

٣ – قد تكون السيدة عائشة في ذلك الوقت رضيعة في المهد ، وإنما نسب ابن إسحاق لها الإسلام لإسلام والديها ؛ لأن الطفل في المهد ينشأ على الإسلام ، ولا يغيره عن فطرته سوى والديه ، وحيث إن أبويها كانا مسلمين ، وهي صغيرة في المهد ، فبطبيعة الحال ستكون مسلمة على دين والديها .

كما قال رسول الله ﷺ : "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه .... الحديث "[3]

٤- عند المقارنة العلمية بين رواية الصحيحين في سن السيدة عائشة ، ورواية سيرة ابن إسحاق لو كانت ثابتة بالفعل من حيث قوة المصدرين ، وثبوتهما ، ومكانتهما عند العلماء لا نجد وجهاً للمقارنة ، وسنجد جميع العلماء يطرحون رواية سيرة ابن إسحاق لمخالفتها ما ورد في الصحيحين .

الشبهة الحادية عشرة : قول الطبري كل أولاد أبي بكر ولدوا في الجاهلية

يدعون على الإمام الطبري أنه جزم بيقين في كتابه (تاريخ الأمم) أن كل أولاد أبى بكر ﷺ قد ولدوا في الجاهلية .وبهذا تكون السيدة عائشة ولدت قبل البعثة فيكون عمرها عند الهجرة ما يزيد على ثلاثة عشر عاماً .

---

[1] – السيرة النبوية لابن إسحاق ١/ ٤٦ وسيرة ابن هشام ٢/ ٩٢ ط/ دار الجيل بيروت سنة١٤١١هـ

[2] سبل الهدى والرشاد ٢ / ٣٠٨ مرجع سابق .

[3] – متفق عليه . صحيح البخاري ك/ الجنائز ب/ إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه... ٢ / ٩٥ ح / ١٣٨٥ صحيح مسلم ك/ القدر ب/ معنى كل مولود يولد على الفطرة ٤ / ١٠٦٦ ح/ ٢٦٥٨ .

الرد على هذه الشبهة :

١- لا أدري هل نسي هؤلاء الذين ينتسبون إلى البحث العلمي أن من شروطه : الأمانة في النقل خاصة عند نسبة الأقوال إلى قائليها – كما قال علماؤنا إذا كنت ناقلاً فالصحة وإن كنت مدعياً فالدليل – .لكنه ليس النسيان إنما هو التزوير المتعمد ظنا منهم أن أحداً لن يبحث وراءهم .وهذا ما كان مع هذا الكلام المنسوب للإمام الطبري، والطبري منه براء ، وإليك نص الإمام الطبري لتعلم ذلك

قال رحمه الله– تحت عنوان : ذكر أسماء نساء أبي بكر الصديق ﷺ : (حدث علي بن محمد عمن حدثه ومن ذكرت من شيوخه قال : تزوج أبو بكر في الجاهلية قتيلة ووافقه على ذلك الواقدي والكلبي ... فولدت له عبد الله وأسماء ، وتزوج أيضا في الجاهلية أم رومان ... فولدت له عبدالرحمن وعائشة فكل هؤلاء الأربعة من أولاده ولدوا من زوجتيه اللتين سميناهما في الجاهلية ، وتزوج في الإسلام أسماء بنت عميس وكانت قبله عند جعفر بن أبي طالب ... فولدت له محمد بن أبي بكر ، وتزوج أيضا في ا لإسلام حبيبة بنت خارجة بن زيد ... وكانت نسأ حين توفي أبو بكر فولدت له بعد وفاته جارية سميت أم كلثوم .)[١]

وكما هو واضح من النص أن حديث الإمام الطبري كان يدور حول نساء أبي بكر ﷺ ، وذكر أنه تزوج امرأتين في الجاهلية ، وامرأتين في الإسلام ، وذكر أولاد الزوجتين اللتين تزوجهما في الجاهلية وقال : " هؤلاء الأربعة من أولاده ولدوا من زوجتيه اللتين سميناهما في الجاهلية. " فهل يمكن لعاقل أن يفهم من هذه العبارة أن أولاد أبي بكر ولدوا في الجاهلية .

٢- لو فرضنا جدلاً أن كلام الإمام الطبري في عبارته السابقة يوهم ذلك . فكيف يذكر الإمام نفسه في نفس النص أولاداً لسيدنا أبي بكر ولدوا في الإسلام وهما محمد وأم كلثوم .

٣- ثم انظر إلى هذه الألفاظ المضللة في كلام هؤلاء : " (الطبري) يجزم بيقين في كتابه (تاريخ الأمم) أن كل أولاد (أبي بكر) قد ولدوا في الجاهلية ." هكذا "يجزم بيقين " ، ثم "كل أولاد أبي بكر " فأين اليقين ؟؟، وأين كل الأولاد ؟؟ ، وقد ولد لسيدنا أبي بكر ثلاثة أولاد في الإسلام هم السيدة عائشة ، ومحمد وأم كلثوم .

الشبهة الثانية عشرة : سنة الأنوثة في حب المبالغة في صغر السن .

لجا الأستاذ / العقاد – رحمه الله – ، ومن وافقه في هذا إلى تأويل رواية الصحيحين لعمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ﷺ بأن هذا العمر الذي ذكرته السيدة عائشة هو من قبيل ما تحبه المرأة من الظهور بين أترابها بصغر سنها ، وسمى ذلك " سنة الأنوثة الخالدة " واعتمد في ذلك على أمرين :

١- أنها لم تكن تعرف سنها الحقيقي لأنه لم يكن مدونا في وثيقة .

٢- أنها كثيرا ما تحب وصف نفسها بالصغر مثل قولها وكنت جارية حديثة السن .

[١] – تاريخ الرسل والملوك ٢/ ٣٥١ دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ

وإليك نص كلامه : " أنها – أي السيدة عائشة –كانت تسمع تقديرات سنها ممن كان حولها لأنها لم تقرأها بداهة في وثيقة مكتوبة ، فكان يعجبها على سنة الأنوثة الخالدة أن تأخذ بأصغرها ، وكانت هي كثيرا ما تدل بالصغر بين أترابها فلا تنسى إذا اقتضى الحديث ذلك أن تقول : وكنت يومئذ جارية حديثة السن ، أو كنت يومئذ صغيرة لا أحفظ شيئا من القرأن ، إلى أشباه ذلك من أحاديثها في هذا المعنى . "(١)

ولعل ما دفع العقاد إلى هذا التأويل هو معرفته بورود رواية التسع في أصح كتب الحديث وهما صحيحا البخاري ومسلم ، فأراد أن يجد لها تأويلاً .إلا أن هذا التأويل جاء متعسفاً ، ويفهم منه عدم تصديقه بالرواية ، وهذا ينتهي في النهاية إلى ردها ، والدليل على ذلك يظهر من خلال الرد على هذه الشبهة على النحو التالي :

الرد على هذه الشبهة من وجوه:

أولهاً : إن هذا التأويل يخرج الكلام من معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي دون داع يقتضيه سوى ما ذكرته سابقا من التسليم للمستشرقين وأعداء الإسلام من استحالة الزواج في هذه السن قياساً على حال الفتيات في هذا السن اليوم

فإذا ثبت خطأ هذا القياس كما ذكرت في المبحث السابق ، فما الداعي إلى إخراج الكلام الصريح من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي ، ونحن نعلم أن حمل اللفظ على الحقيقة أولى من حمله على المجاز .

ثانيها : هل هناك من يهتم بمعرفة سن المرء أكثر من المرء نفسه ؟ والسيدة عائشة هنا هي التي تتحدث عن نفسها ، فهل يعلم العقاد أو غيره سنها أكثر منها ؟

ثم إن حديثها عن عمرها لابد أن يكون قد بلغ أخوتها الكبار أمثال عبد الرحمن وأسماء - خاصة والراوي له ابن أختها عروة بن الزبير – فلو بالغت هي في تقدير سنها ألم تكن أسماء أو عبد الرحمن ليصححا لها ذلك ، وهم ممن حضروا ولادتها ؟! فحيث إنهم سكتوا على هذا التقدير فهذا إقرار منهم بصحته.

ثالثها : كون عمر السيدة عائشة لم يكن مدونا في وثيقة مثل أيامنا هذه هل يطعن في معرفتها بعمرها الصحيح ؟ وماذا لو طبقنا هذا على عمر النبي ﷺ ومراحل الدعوة ، والغزوات ، وكل أحداث السيرة النبوية ، وهي كلها لم تكن مدونة في وثائق ؟

إن العرب ، وإن كانت أمة أمية لم تنتشر في أوساطها الكتابة . لكن الله ﷻ منحهم عوضا عن ذلك قوة الحافظة ، وحدَّة الذاكرة ، فكانوا يسجلون تواريخهم في ذاكرتهم وينقلونها لأبنائهم جيلا بعد جيلا ، وكانوا يؤرخون بالحوادث العظيمة التي تقع في العام ، فيسمون هذا العام بعام الفيل أو عام الحزن أو غير ذلك ، ومن هنا استطعنا معرفة عمر رسول الله ﷺ ، ومعرفة جميع تواريخ السيرة النبوية المطهرة .

رابعها : إن الاستناد على قول السيدة عائشة في بعض الأحاديث أنها صغيرة السن للتدليل على أنها كانت من النساء اللاتي يحببن الدلال بتصغير أنفسهن قول فيه إسراف ومجازفة كبيرة ، والدليل على ذلك أن غير السيدة عائشة كان يصفها بذلك ، ويقرها على حداثة سنها ، فهل يمكن أن يفسر هذا أيضاً على أنه دلال النساء ؟

---

١ – الصديقة بنت الصديق ص ٤٩ .

ومن ذلك ما ذكرته جاريتها بريرة عنها في حديث الإفك حين قالت : " لا أعتب عليها في شيء سوى أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله ."([1]) وهذا كان في السنة السادسة من الهجرة بعد زواجها بحوالي أربع سنوات .

وفي نفس قصة الإفك كان الرهط الذين يحملون هودجها على البعير لا يشعرون بعدم وجودها فيه لخفتها وصغرها.([2])

ولما نزلت آية التخيير أشار عليها النبي ﷺ بمراجعة والديها لما يعلم من حداثة سنها . فهل يمكن أن يكون كل هذا من باب سنة الأنوثة الخالدة –كما يدعي العقاد – .

خامسها : إن السيدة عائشة لا تحتاج إلى أن تظهر صغر سنها بتقدير غير صحيح ، لأنها كانت أصغر نساء النبي ﷺ على أي تقدير في سنها ، فلا تحتاج إلى دلال النساء اللاتي يتحدث عنهن العقاد .

من خلال هذه الأدلة يظهر لنا ما في هذا التأويل من تعسف وبطلان ، ويكفي أن صاحبه يكذب إنساناً في معرفته بعمره ، ومعرفة أسرته ومن حوله بهذا العمر على الرغم من أنه لم ير ذلك الإنسان ، ولم يعاصره ، ولم يقم دليلاً صحيحاً على هذا التكذيب !!!!

الشبهة الثالثة عشرة : شبهة السند

ادعى من يشكك في رواية الصحيحين في زواج النبي ﷺ بالسيدة عائشة بأن سند الرواية الوارد في مواضع من صحيح البخاري معلول وضعيف فقالوا : " جاء الحديث الذي ذكر فيه سن (أم المؤمنين) في صحيح البخاري بخمس طرق ترجع كلها إلى راو واحد وهو عروة الذي تفرد بالحديث عن أم المؤمنين (عائشة) ، وتفرد بروايته عنه ابنه (هشام) ، وفي (هشام) تكمن المشكلة ، حيث قال فيه ابن حجر في (هدي الساري) و(التهذيب): « وقال عبد الرحمن بن يوسف بن خراش : كان مالك لا يرضاه ، بلغني أن مالكا نقم عليه حديثه لأهل العراق ، قدم — جاء – الكوفة ثلاث مرات ، قدمةً — مرة – كان يقول: حدثنى أبي ، قال سمعت عائشة ، وقدم — جاء – الثانية فكان يقول: أخبرني أبي عن عائشة، وقدم — جاء – الثالثة فكان يقول: أبي عن عائشة».

والمعنى : أن (هشام بن عروة) كان صدوقا في المدينة المنورة ،ثم لما ذهب للعراق بدأ حفظه للحديث يسوء، وبدأ يقول (عن) أبي ، بدلا من (سمعت أو حدثني)، وكلمة (سمعت) أو (حدثني) أقوى من قول الراوي (عن فلان) ، والحديث في البخاري هكذا يقول فيه (هشام)عن (أبي) وليس (سمعت أو حدثني)، وهو ما يؤيد الشك في سند الحديث .

ثم إن الإمام (مالكًا) قال : إن حديث (هشام) بالعراق لا يقبل. فإذا طبقنا هذا على الحديث الذي أخرجه البخاري لوجدنا أنه محق ، فالحديث لم يروه راو واحد من المدينة بل كلهم عراقيون ما يقطع أن (هشام بن عروة) قد

---

[1] – متفق عليه صحيح البخاري ك/ الشهادات ب/ إذا عدل رجل أحداً فقال لانعلم إلا خيرا ... ٣ / ١٦٨ ح ٢٦٣٧ صحيح مسلم ك/ التوبة ب/ في حديث الإفك وقبول توبة القاذف ٤/ ١١١٤ ح / ٢٧٦٩ .

[2] – انظر المرجعين السابقين نفس الكتاب والصفحة .

رواه بالعراق ، بعد أن ساء حفظه ، ولا يعقل أن يمكث (هشام) بالمدينة عمرا طويلا ، ولا يذكر حديثا مثل هذا ، ولو مرة واحدة ، لهذا فإننا لا نجد أي ذكر لعمر السيدة (عائشة) عند زواجها بالنبي في كتاب (الموطأ) للإمام مالك ، وهو الذي رأى وسمع (هشام بن عروة) مباشرة بالمدينة ، فكفى بهاتين العلتين للشك في سند الرواية في البخاري."

وللرد على هذه الشبهة أقول :

١- رواية سن السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ﷺ وردت في الصحيحين . فلماذا اقتصر هؤلاء على روايات الإمام البخاري دون روايات الإمام مسلم ؟

الجواب : لأنهم يعلمون يقيناً أن روايات الإمام مسلم فيها ما يدفع دعواهم الباطلة بالشك في سند الرواية حيث روى الإمام مسلم الرواية بثلاثة طرق : الأول: هو طريق الإمام البخاري والذي ينتهي عند هشام بن عروة .والثاني من رواية الزهري عن عروة دون أي ذكر لهشام. والثالث: من رواية الأسود عن عائشة دون ذكر لعروة وهشام .([1])

ومن ثم إذا افترضنا – جدلاً – صحة ما ادعاه هؤلاء المدعون في طريق هشام بن عروة فماذا سيقولون عن طريقي الإمام مسلم الأخيرين للرواية ، وهم – دائما- ما يقرنون في الطعن بين الصحيحين ؟؟

٢- ادعي هؤلاء تفرد عروة بالرواية عن السيدة عائشة ، وهذا كلام عار عن الصحة تماما ، ففي أحد أسانيد الإمام مسلم رواية الأسود بن يزيد عن عائشة ، وليس الأسود فقط هو الذي تابع رواية عروة عن أم المؤمنين عائشة لهذا الحديث ففي غير الصحيحين متابعات كثيرة منها :

رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة ، وابن أبي مليكة عن عائشة وهما عند النسائي في السنن .([2])

ورواية القاسم بن محمد ، وأبو عبيدة ، وعبد الملك بن عمير عن عائشة ، وهذه الروايات الثلاث في المعجم الكبير للطبراني ([3]) . ورواية يحيي بن عبد الرحمن بن حاطب عن عائشة في مسند أبي يعلى([4]) .

فهذه المتابعات الكثيرة تؤكد صحة الرواية وتقويها .

٣- ادعوا كذلك تفرد هشام بالرواية عن عروة ، وهذا ادعاء باطل ، فها هو الإمام مسلم يروي الحديث بسنده عن الزهري عن عروة – و الإمام الزهري من هو في مكانته وإمامته في السنة – ، وليس الإمام الزهري فقط هو الذي تابع رواية هشام عن عروة . بل تابعها أيضا أبو الزناد (عبد الله بن ذكوان) عن عروة عند الإمام الطبراني في المعجم الأوسط ([5]).

---

[1] – راجع صحيح مسلم ٢ / ١٠٣٩ مرجع سابق .

[2] – راجع سنن النسائي (المجتبى) (٦ / ١٣١) ط/ مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ط / ثانية ١٩٨٦م – سنن النسائي الكبرى ٣ / ٢٧٩ ط/ مؤسسة الرسالة ط/ أولى ٢٠٠١م

[3] – راجع المعجم الكبير ٢٣ / ٢٢- ٢٩ ط/ مكتبة العلوم والحكم بالموصل ط/ ثانية ١٩٨٣م .

[4] – راجع مسند أبي يعلى ٨ / ١٣٢ ط / دار المأمون للتراث بدمشق ط / أولى ١٩٨٤م .

[5] – المعجم الأوسط – (٧ / ٩٤ ط/ دار الحرمين – القاهرة ١٤١٥هـ

٤- نأتي إلى سند الإمام البخاري للرواية المذكورة حيث ادعي هؤلاء ضعف الرواية ، وأداروا هذا الحكم على راو واحد من السند وهو هشام بن عروة – رحمه الله – فما موقف علماء الجرح والتعديل من هشام ؟

قال ابن سعد في طبقاته عنه : ثقة ثبتاً كثير الحديث حجة ([1]) . وقال أبو حاتم الرازي : ثقة إمام في الحديث ([2]). وأورده ابن حبان في الثقات وقال عنه : كان متقنا ورعاً فاضلاً حافظاً ([3]). ووصفه الإمام الذهبي فقال : الإمام الثقة شيخ الإسلام([4]) . ويكفي هذا لبيان منزلة هشام بن عروة عند أئمة الحديث وعلمائه الأوائل .

٥- هشام بن عروة روى عنه كل الأئمة بما فيهم الإمام مالك في الموطأ ، وخرج حديثه أئمة الكتب الستة ،

قال الإمام الذهبي عن حديثه : " وحديثه محتج به في " الموطأ " والصحاح، " والسنن . "([5])

ويكفي أن الإمامين البخاري ومسلم خرجا له في الصحيحين فهذه شهادة بعدالته لا تدانيها شهادة أخرى ، ولا يقبل بعدها طعن فيه إلا بدليل قاطع .

قال ابن حجر : " ينبغي لكل منصف أن يعلم أن تخريج صاحب الصحيح لأي راو كان مقتض لعدالته عنده وصحة ضبطه وعدم غفلته ، ولا سيما ما انضاف إلى ذلك من إطباق جمهور الأئمة على تسمية الكتابين بالصحيحين وهذا معنى لم يحصل لغير من خرج عنه في الصحيح ، فهو بمثابة إطباق الجمهور على تعديل من ذكر فيهما....

وحينئذ إذا وجدنا لغيره في أحد منهم طعنا، فذلك الطعن مقابل لتعديل هذا الإمام ، فلا يقبل إلا مبين السبب مفسرا بقادح يقدح في عدالة هذا الراوي وفي ضبطه مطلقا ، أو في ضبطه لخبر بعينه لأن الأسباب الحاملة للأئمة على الجرح متفاوتة منها ما يقدح ومنها ما لا يقدح . وقد كان الشيخ أبو الحسن المقدسي يقول في الرجل الذي يخرج عنه في الصحيح هذا جاز القنطرة يعني بذلك أنه لا يلتفت إلى ما قيل فيه ."([6])

٦- نقل هؤلاء كلاما عن عبد الرحمن بن يوسف بن خراش في طعن الإمام مالك في هشام بن عروة ؛ ولأنهم أصحاب هوى في أنفسهم ، فقد غلبهم هواهم على الأمانة في النقل ؛ فحذفوا من نص كلام عبد الرحمن مالا يوافق هواهم ، وهو ثناء عبد الرحمن وتزكيته لهشام ، وهاهو النص كما أورده ابن حجر في تهذيب التهذيب :

" قال ابن خراش كان مالك لا يرضاه ، وكان هشام صدوقا تدخل أخباره في الصحيح بلغني أن مالكا نقم عليه حديثه لأهل العراق "([7]) فحذف هذا المدعي قول عبد الرحمن : " وكان هشام صدوقا تدخل أخباره في الصحيح ".

---

[1] – الطبقات الكبرى ٣٢١/٧ مرجع سابق .

[2] – الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي ٦٤/٩ ترجمة ٢٤٩ مرجع سابق .

[3] – الثقات ٥/ ٥٠٢ ترجمة ٥٩٤٠ ط / دار الفكر ط/ أولى ١٩٧٥م.

[4] – سير أعلام النبلاء ٦ / ٣٤ مرجع سابق .

[5] – السابق نفس الجزء والصفحة .

[6] – هدي الساري مقدمة فتح الباري ٣٨٤/١ مرجع سابق .

[7] تهذيب التهذيب ٤٥/١١مرجع سابق .

٧- ما أنكره الإمام مالك على هشام بن عروة هو أنه صار يروي عن أبيه عند قدومه للمرة الثالثة للكوفة بالعنعنة فهل هذه العنعنة تقدح في صحة الرواية ؟

أقول : لا . لأن العلائي قال : " إن الراوي الذي يطلق لفظة عن أما أن يكون لم يعرف بتدليس أو عرف به فإن لم يعرف بتدليس وكان لقاؤه لشيخه ممكنا أو ثبت لقاؤه له على اختلاف القولين لمسلم والبخاري فلفظة عن محمولة على الاتصال وليس للانقطاع وجه ، ولا للواسطة احتمال ؛ لأن الظاهر سماعه لذلك من شيخه ، والأصل السلامة من وصمة التدليس ، فلا يقاس المرسل على هذا مع ظهور الفرق بينهما . "([1])

وإذا طبقنا هذا على حال هشام بن عروة مع أبيه نجد أن ما ذكره العلائي ينطبق تماماً عليه حيث لم يعرف عنه تدليساً –كما قال العلائي نفسه في ترجمته([2]) ، وثبوت اللقيا مع أبيه لا ينازع فيه أحد ، ومن ثم تحمل لفظة (عن) عنده على الاتصال لا على الانقطاع ، وهذا ينفي تماماً عنه وصمة التدليس .

ولذا عقب الإمام الذهبي على ما نقله عبد الرحمن بن خراش عن مالك في شأن هشام ، وقدومه الكوفة وتساهله في الرواية مع أهلها بقوله : " الرجل حجة مطلقاً . "([3])

٨- قول هؤلاء كل رواة الحديث عن هشام عراقيون كوفيون قول إن صح بالنسبة للصحيحين لا يصح بالنسبة لباقي كتب السنة ، وقد بنوا طعنهم على كلام الإمام مالك السابق في رواية الكوفيين عن هشام ، فماذا سيقولون إن علموا أن هناك مدنيين ومكيين وبصريين رووا هذا الحديث عن هشام – أيضاً - .ومن ذلك :

ما أخرجه الطبراني بسنده في معجمه الكبير عن عبد الرحمن بن أبي الزِّنَادِ عن هِشَامِ بن عُرْوَةَ عن أبيه ([4]) ، وعبد الرحمن مدني .

وما أخرجه الطبراني بسنده –كذلك – في المعجم الكبير عن - سُفْيَانُ (بن عيينة)حدثنا هِشَامُ بن عُرْوَةَ عن أبيه عن عَائِشَةَ([5]) ، وسفيان بن عيينة مكي .

وما أخرجه النسائي بسنده في سننه الكبرى عن جعفر بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه([6]) ، وجعفر بن سليمان بصري ... وغيرهم

فهذه الروايات عن هشام من غير أهل الكوفة تؤكد أن كلام الإمام مالك عن تساهل هشام مع أهل الكوفة لاينطبق على هذا الحديث إذ رواه هشام لغيرهم من أهل المدينة ومكة والبصرة .

---

[1] جامع التحصيل في أحكام المراسيل ص ٧٩ ط/ عالم الكتب – بيروت ط/ ثانية ١٩٨٦ .

[2] – السابق ص ١١١ .

[3] – سير أعلام النبلاء ٦ / ٣٥ – وانظر له – أيضاً - ميزان الاعتدال ٤ / ٣٠١ ط/ دار المعرفة بيروت لبنان بدون تاريخ .

[4] – المعجم الكبير ٢٣ / ٢١ مرجع سابق .

[5] – السابق ٢٣ / ٢٤ .

[6] سنن النسائي الكبرى ٣ / ٢٧٩ مرجع سابق .

٩- كون حديث السيدة عائشة في شأن سنها عند الزواج لم يروه الإمام مالك في موطئه لايطعن في صحته فكم من الأحاديث الصحيحة لم ترو في الموطأ ، والإمام مالك لم يكن غرضه من تأليف الموطأ جمع الأحاديث الصحيحة حتى نقول إن الذي ليس فيه يحكم بضعفه ، بل إن الموطأ فيه الصحيح والحسن والضعيف .

وبهذا يتبين لنا أن ضعف السند الذي تكلم عنه هؤلاء في رواية الصحيحين أمر لا أساس له من الصحة ، وأن رواية هشام بن عروة لهذا الحديث من أقوى الروايات وأصحها ، كما قال ابن عبد البر في التمهيد :

" ورواية هشام بن عروة أصح ما قيل في ذلك من جهة النقل والله أعلم "(١)

خلاصة المبحث :

نخلص من عرض هذه الشبهات التي أثارها هؤلاء المشككون في صحة رواية الصحيحين لعمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ﷺ والرد عليها ، أن هذه الشبهات اضمحلت وانمحت ، وصارت لا تستطيع النهوض أمام صدق وثبوت رواية الصحيحين ، وأن هذه الشبهات نتجت عند هؤلاء نتيجة غياب المقياس الشرعي عندهم للنصوص والوقائع ، و التسليم لآراء المستشرقين دون آراء السلف ، وعدم معرفة قيمة ومكانة المصادر الشرعية ، والتسرع في فهم النصوص وتأويلها دون الرجوع لأهل الذكر والتخصص ، وتصيد الأدلة والشبهات التي تثبت وترجح ما امتلأت به عقولهم وقلوبهم من آراء سابقة دون تجرد في البحث عن الحقيقة . بل دون إعطاء العقل فرصة للتفكير في وجهة النظر الأخرى ، لذا انطلقوا من شبهات ظنوها مسلمات . لكن عند البحث والتدقيق كانت مجرد آراء لم يُسَلِّم بها الكثير ، ولم تحظ بالإجماع كما توهموا .

والذي كتب لهذه الآراء الطاعنة في رواية الصحيحين الذيوع والانتشار في واقعنا المعاصر أن رياح الواقع العالمي والداخلي للمسلمين كانت مواتية لها فانتشرت ، وصارت كل يوم تنتشر أكثر مما قبله ؛ فالعولمة الغربية تزيد كل يوم من وسائلها وضغوطها في فرض المنظور الغربي لحقوق المرأة والطفل ، وأعداء الإسلام يصعدون كل يوم من هجومهم على الإسلام ونبيه ، ويضعونهما في قفص الاتهام بالوحشية والإرهاب وانتهاك حقوق المرأة ....، والعلمانية ضربت بأعطانها في كثير من البلاد الإسلامية ، وصار دعاة التمسك بالثوابت الإسلامية يوصفون بالظلاميين والانغلاقيين ودعاة الجمود والتحجر ، وغدا الطعن في مصادر الإسلام وسيلة سريعة للشهرة الإعلامية والمجتمعية ...مع كل هذه الظروف وغيرها لابد أن تجد مثل هذه الشبهات طريقها للبروز في الواقع الإسلامي .

ولكن مع كل ذلك فإن سنة الله ﷻ ماضية في إزهاق الباطل ودحضه ، والإبقاء على الحق ونصره .

قال ﷻ : {فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ } [الرعد : ١٧]

١ - التمهيد لابن عبد البر - (١٩ / ١٠٨ ط/ وزارة الأوقاف المغربية بتحقيق / سعيد أحمد إعراب سنة ١٩٨٨م .

المبحث الرابع

بعض الحكم من زواج النبي ﷺ بالسيدة عائشة في هذه السن

سبق القول بأن زواج النبي ﷺ بالسيدة عائشة كان وحيا من الله ﷻ من خلال رؤيا النبي ﷺ في المنام للسيدة عائشة ، وقول الملك : هذه زوجتك في الدنيا والآخرة ، ومع ذلك حاول بعض الباحثين([1]) أن يتلمسوا بعض الحكم من وراء هذا الزواج المبارك من هذه الحكم :

١- احتياج الأمة عامة والنساء خاصة إلى امرأة ذات عقل واع ، وذهن صاف ، وبديهة حاضرة ، وذاكرة قوية لم تتأثر بتجارب زوجية سابقة ، ولم يضعف الزمن من قدرتها على الاستيعاب والتركيز والحفظ لكي تحفظ سنة النبي ﷺ ، وتستظهرها عن ظهر قلب ، وتعايش أحوال النبي ﷺ فيما لا يطلع عليه الرجال لتستذكره ، وتكون وعاء له لترويه للأمة بعد ذلك .

وهذه كانت مهمة السيدة عائشة – رضي الله عنها – لذا كانت أكثر زوجات النبي – عليه الصلاة والسلام – رواية للحديث بل من أكثر الصحابة في ذلك ، لم يتقدم عليها سوى سيدنا أبي هريرة وعبد الله بن عمر وأنس بن مالك – رضي الله عنهم – وكان عندها من العلم بكثير من المسائل ما ليس عند غيرها لأنها كانت تطلع من النبي ﷺ على بعض الأحوال ما لا يطلع عليه غيرها . حتى كتب الإمام الزركشي كتابه المشهور (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة)([2])

٢- تقديم النبي ﷺ القدوة من نفسه للناس جميعاً في معاملة المرأة صغيرة السن البكر ؛ لذا كان يتحمل منها النبي ﷺ ما لا يتحمله من غيرها لصغر سنها ، وفي هذا قدوة لمن تزوج امرأة صغيرة في السن تحتاج إلى التدليل والصبر عليها أكثر من غيرها . وكذلك جانب البكارة حيث كانت زوجات النبي ﷺ من الأرامل والمطلقات فكان لابد أن يتزوج النبي ﷺ بامرأة لم يسبق لها الزواج ليعطي الرجال القدوة من نفسه في كيفية معاملتها والعشرة معها .

٣- تقديم القدوة في جانب آخر وهو حب الرجل لزوجته عندما يكون متزوجا بأكثر من امرأة ، فقد رزق الله – تعالي – النبي ﷺ حبها ، ومع ذلك لم يدفعه هذا الحب إلى ظلم الزوجات الأخريات بل كان يعدل بينهن جميعا حتى في مرض موته كان يتنقل بين بيوتهن حتى أذنّ له أن يمرض في بيت السيدة عائشة

٤- تقديم القدوة في جانب ثالث لا يقل أهمية عن الجانين السابقين وهو جانب معاملة الزوج للزوجة التي يحبها : متى يتغاضى عن هفواتها ، ومتى لا يمنعه حبها من إحقاق الحق ، والحكم بالعدل معها ، وبيان الخطأ في سلوكها كما كان يفعل النبي ﷺ مع السيدة عائشة – رضي الله عنها – والمواقف في هذا كثيرة ومذكورة في كتب السيرة .

---

[1]- راجع : موسوعة أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر – للدكتور/ عبد المنعم الحفني ص ١١٣ مرجع سابق – أم المؤمنين السيدة عائشة ومروياتها في التفسير ص ٣٧ رسالة ماجستير للباحث / محمود سليمان علي مرجع سابق .

[2] – ط/ المكتب الإسلامي بيروت – ط/ الثانية: عام ١٩٧٠ تحقيق / د / عصمت الله .

٥- بيان مكانة ومنزلة سيدنا أبي بكر ﷺ عند الله ﷻ ، وعند النبي ﷺ حيث وجه الله – تعالى – نبيه للزواج من ابنته ، وهذا أفضل تكريم له لما بذله من مال وجهد ، وما تحمله من إيذاء وتعب من أجل النبي ﷺ والدعوة الإسلامية.

٦- وفي هذا الزواج – أيضاً – تمتين لوشائج الحب والود مع الصديق - ﷺ - الرجل الذي سيتحمل أعباء الخلافة بعد رسول الله ﷺ مباشرة . شأنه في ذلك شأن بقية الخلفاء الراشدين الأربعة الذين ارتبطوا بالنبي ﷺ برباط المصاهرة .

هذه بعض الحكم التي لاحت من زواج النبي ﷺ من السيدة عائشة ، وإن كان الأمر - كما سبق أن ذكرت – لا يحتاج إلى التماس للعلل والحكم من ورائه ، لأنه كان زواجاً طبيعياً لم يثر أدنى التفات عند من عاصره .

الخاتمة

عود على بدء

وبعد .... فها قد وصلنا إلى ختام الحديث حول زواج النبي ﷺ بالسيدة عائشة ، وما ذاع من شبهات حوله من أعداء الإسلام في الخارج ، ومن بعض المؤرخين والباحثين في الداخل ؛ لنجيب على السؤال الذي طرحناه في مقدمة البحث وهو : ما هو العمر الحقيقي للسيدة عائشة عند زواجها من النبي ﷺ ؟

أقول : لقد وقفت – أيها القارئ الكريم – على حقيقة هذه الشبهات ، وظهر لك تهافتها وتلاشيها واحدة بعد الأخرى ، ومن ثم لابد أن تكون قد وصلت معي إلى اليقين بأن الصدق والحق أن السيدة عائشة كانت في التاسعة من عمرها عند زواجها بالنبي ﷺ كما في الصحيحين وغيرهما من كتب السنة ، وأن أي تقدير لعمرها يخالف ذلك محض افتراء لا أساس له من الصحة ، ومجرد أوهام لا دليل عليها .

أما عن النتائج التي يمكن استخلاصها من خلال البحث فهي كثيرة اكتفي بذكر بعضها على النحو التالي :

أولاً : أن أعداء الإسلام من المستشرقين والمنصرين لايبكون على الطفولة وحقوقها كما يدعون ، ولا يهمهم إن كانت السيدة عائشة بالغة أم طفلة إنما هدفهم الرئيس النيل من رسول الله ﷺ ، وتشويه صورته أمام العالم . والدليل على هذا ما ثبت من خلال البحث أن زواج الفتاة في التاسعة من عمرها كانت –ولا زالت– ظاهرة عامة عند بعض الشعوب فلماذا يربطونها بنبي الإسلام خاصة؟!.

ثانياً : ثبت من خلال البحث أنه لا يمكن وضع حد معين لبلوغ المرأة – بل الرجل أيضاً– في عصر معين . فمن باب أولى إذا اختلفت العصور وبعد الزمان كما هو حالنا الآن بالنسبة لعصر النبي ﷺ وبيننا ما يقارب أربعة عشر قرناً من الزمان .

ثالثاً : أن معظم الشبهات التي يثيرها بعض المستغربين من المسلمين حول السنة النبوية المطهرة تنبع عندهم– غالباً–من منبعين أساسين : الأول :عدم الوقوف عند نصوص القرآن والسنة . والثاني : تقديم العقل على النص .

رابعاً : أن أعداء الإسلام لا يألون جهداً في التشكيك في قرآن ربنا ، وسنة نبينا ، ومن مشى ورائهم لن يزيدوه إلا خبالاً كما أخبر الحق بذلك في القرآن الكريم،وكما ظهر من تصديق بعض من الكاتبين المسلمين لهم في هذا الافتراء .

خامساً: لايوجد تعارض البتة بين الأحاديث الصحيحة بعضها مع بعض كما زعم هؤلاء الذين عارضوا رواية الصحيحين بروايات في الصحيحين ، وظهر عدم فهمهم لمغزى هذه الروايات وتلك.

سادساً : ثبت من البحث أن الجهل بترتيب المصادر الإسلامية يجعل من لا علم له يقدم ما حقه التأخير ، ويؤخر ما حقه التقديم ، وهذا يخل إخلالاً كبيراً بالبحث العلمي ، وخير مثال على ذلك هؤلاء الذين عارضوا رواية الصحيحين بكتب السيرة و التاريخ والتراجم أو غيرها من الكتب التي لاتداني الصحيحين في المنزلة والثبوت .

سابعاً : أكد البحث أن لكل علم رجاله ، ولكل فن أهله ، ومن لا يأخذ العلم من أهله يورد نفسه المزالق كما حدث مع هؤلاء الذين رموا سند الصحيحين بالضعف ، وهم ليسوا من أهل الحديث ولا حتى من طلابه .

هذه بعض النتائج التي لاحت من خلال البحث ، ومن خلالها أوصي بما يلي :

أولاً : التفطن للأهداف المستورة لأعداء الإسلام من وراء الدعوات البراقة لحقوق الإنسان عامة والمرأة والطفل خاصة ؛ لأن من ضمن بعض بنود هذه الدعوات ما يهدف إلى هدم الإسلام وتقويض بنائه ، وتوهين مكانته في نفوس المسلمين .

ثانياً : تقريب كتب السنة عامة ، والصحيحين خاصة من أذهان العامة من خلال قراءتها وشرحها وتحفيظها بشكل دائم ومستمر في القنوات الفضائية الإسلامية والإذاعات الإسلامية والمساجد ، وحلقات العلم ، وكل ما يساعد على انتشارهما بين الأمة عامة والشباب خاصة ليفهموا من خلالها القرآن الكريم ، ويتحصنوا بها من المكر المبين لأعداء الدين .

ثالثاً : التتبع المستمر لكل ما يثيره المستغربون والعلمانيون من شبهات حول السنة عامة والصحيحين خاصة ، والمسارعة إلى الرد عليها وإبطالها ، ونشر هذه الردود بكل وسيلة إعلامية ممكنة ؛ لكي لا يُفْتَتَن بهذه الشبهات شباب الأمة ، وبعض قليلي الثقافة الإسلامية فيها .

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى الطرق المستقيم ،،،،

ثبت بأهم المراجع

أولاً : كتاب الله العزيز (القرآن الكريم)

ثانياً : المراجع (مرتبة ألف – باء)

١- أحكام القرآن لابن العربي ط/ دار الكتب العلمية – بيروت . بدون تاريخ .

٢- الاستذكار لابن عبد البر القرطبي ط/ دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠٠م

٣- الاستيعاب لابن عبد البر ط / دار الأعلام بالأردن ط/ أولى ٢٠٠٢م

٤- أسد الغابة لابن الأثير ط/ دار الفكر بيروت د. ت .

٥- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ط/ دار الجيل بيروت ط/ أولى ١٤١٢هـ .

٦- أم المؤمنين السيدة عائشة ومروياتها في التفسير من الكتب الستة وتفسير الطبري - رسالة ماجستير للباحث / محمود سليمان علي - بقسم الكتاب والسنة –كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القري سنة ١٤١٠هـ

٧- البداية والنهاية لابن كثير ط/ دار هجر للنشر والتوزيع - بدون تاريخ .

٨- تاريخ الرسل والملوك للطبري ط/ دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ

٩- تاريخ دمشق لابن عساكر ط/ دار الفكر بيروت ١٩٩١م

١٠- تفسير ابن كثير ط/ دار طيبة للنشر والتوزيع ط/ ثانية ١٩٩٩م .

١١- تفسير الطبري ط/ مؤسسة الرسالة ط : الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

١٢- التفسير الوسيط - لمحمد سيد طنطاوي ط/ دار المعارف بالقاهرة .

١٣- التمهيد لابن عبد البر ط/ وزارة الأوقاف المغربية بتحقيق / سعيد أحمد إعراب سنة ١٩٨٨م .

١٤- تنقية أصول التاريخ الإسلامي - لحسين مؤنس ط/ دار الرشاد بالقاهرة ط/ الأولى ١٩٩٧م .

١٥- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ط/ دار الفكر بيروت ط/ أولى ١٩٨٤م

١٦- الثقات لابن حبان ط / دار الفكر ط/ أولى ١٩٧٥م.

١٧- جامع التحصيل في أحكام المراسيل للعلائي ط/ عالم الكتب – بيروت ط/ ثانية ١٩٨٦ .

١٨ - الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ط/ دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ

١٩- حاشية ابن القيم على سنن أبي داود ط / دار الكتب العلمية – بيروت - الطبعة الثانية ١٤١٥هـ

٢٠ - دراسة لحياة أم المؤمنين عائشة على ضوء الكتاب والسنة –لجواهر سرور باسلوم - رسالة ماجستير بجامعة أم القرى –كلية الشريعة – الدراسات العليا الشرعية ١٤٠٢هـ-

٢١- الرسول حياة محمد لبودلي ترجمة / عبد الحميد جودة السحار ومحمد محمد فرج ط/ مكتبة مصر بدون تاريخ

٢٢- الروض الأنف للسهيلي ط/ دار الفكر بيروت ١٩٨٩م

٢٣- سنن أبى داود ط / دار الكتاب العربي . بيروت د. ت .

٢٤- سنن الترمذي ط / الحلبي ط/ ثانية ١٩٦٨م –بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

٢٥ - سنن النسائي (المجتبى) ط/ مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ط / ثانية ١٩٨٦م

٢٦ – سنن النسائي الكبرى ط/ مؤسسة الرسالة ط/ أولى ٢٠٠١م
٢٧– سياسة ووسائل تحديد النسل في الماضي والحاضر د / محمد على البار .
٢٨ – سير أعلام النبلاء للذهبي ط / مؤسسة الرسالة بيروت –الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م
٢٩ – سيرة ابن هشام ط/ دار الجيل بيروت ١٤١١هـ
٣٠ – السيرة الحلبية لبرهان الدين الحلبي ط/ دار المعرفة بيروت ١٤٠٠هـ
٣١ – السيرة الشامية لمحمد الصالح الشامي ط/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٩٩٧م .
٣٢ – السيرة النبوية لابن كثير ط/ الحلبي ط ١٩٦٤ م
٣٣– السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون ترجمة كتاب " حياة محمد " للمستشرق الفرنسي / م . سفاري ترجمة /محمد عبد العظيم – تحقيق ونقد / عبد المتعال الجبري ط/ دار الدعوة ط/ أولى ١٩٩٤م
٣٤– شرح ابن بطال على صحيح البخاري ط/ مكتبة الرشد – السعودية الطبعة : الثانية – ٢٠٠٣م
٣٥– صحيح ابن حبان ط / مؤسسة الرسالة – بيروت ط /ثانية ١٩٩٣تحقيق : شعيب الأرنؤوط
٣٦– صحيح البخاري ط/ دار ابن كثير –اليمامة – بيروت ط/ ثالثة ١٩٨٧م
٣٧– صحيح مسلم بترتيب / محمد فؤاد عبد الباقي ط/ دار إحياء التراث العربي بيروت
٣٨ – الصديقة بنت الصديق لعباس محمود العقاد ط/ نهضة مصر ط / رابعة ٢٠٠٥م
٣٩ – طبقات ابن سعد ط/ دار صادر بيروت – بدون تاريخ .
٤٠ – فتح الباري لابن حجر العسقلاني ط/ دار المعرفة – بيروت ١٣٧٩ هـ
٤١– مجمع الزوائد – ط / دار الفكر، بيروت – ١٤١٢ هـ.
٤٢– المحلى لابن حزم الظاهري ط/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بدون تاريخ.
٤٣– مسند أبي يعلى ط / دار المأمون للتراث بدمشق ط / أولى ١٩٨٤م .
٤٤– مسند أجمد ط/ مؤسسة الرسالة بتحقيق شعيب الأرنؤوط ط / مؤسسة الرسالة الطبعة : الثانية ١٩٩٩م
٤٥– المعجم الأوسط للطبراني ط/ دار الحرمين – القاهرة ١٤١٥هـ
٤٦– المعجم الكبير للطبراني ط/ مكتبة العلوم والحكم بالموصل ط/ ثانية ١٩٨٣م .
٤٧– معرفة الصحابة لأبي نعيم الاصبهاني ط/ دار الوطن للنشر بالسعودية ط/ أولى ١٩٩٨م
٤٨– مقدمة ابن الصلاح ط / مكتبة الفارابي الطبعة : الأولى ١٩٨٤ م
٤٩– مناهج البحث العلمي لعبد الرحمن بدوي ط/ وكالة المطبوعات بالكويت ط/ ثالثة ١٩٧٧ .
٥٠– المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي ط/دار إحياء التراث العربي بيروت ط/ ثانية١٣٩٢هـ
٥١– موسوعة أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر لعبد المنعم الحفني ط/ مكتبة مدبولي بالقاهرة ط / أولى ٢٠٠٣م .
٥٢– ميزان الاعتدال للذهبي ط/ دار المعرفة بيروت لبنان بدون تاريخ .
٥٣– النكت على مقدمة ابن الصلاح للزركشي ط/ أضواء السلف بالرياض ط/ الأولى ١٩٩٨م
٥٤– النهاية في غريب الأثر لابن الأثير الجزري ط / المكتبة العلمية بيروت ١٩٧٩م

فهرس